


# المسيح هو الله



للقديسين
يوحنا ذهبى الفم
غريغوريوس النيسي

# المسيح هو الله

للقديسين
يوحنا ذهبي الفم
وغريغوريوس النيسي

ترجمة ومقدمة
دكتور
سعيد حكيم يعقوب

اسم الكتاب : المسيح هو الله

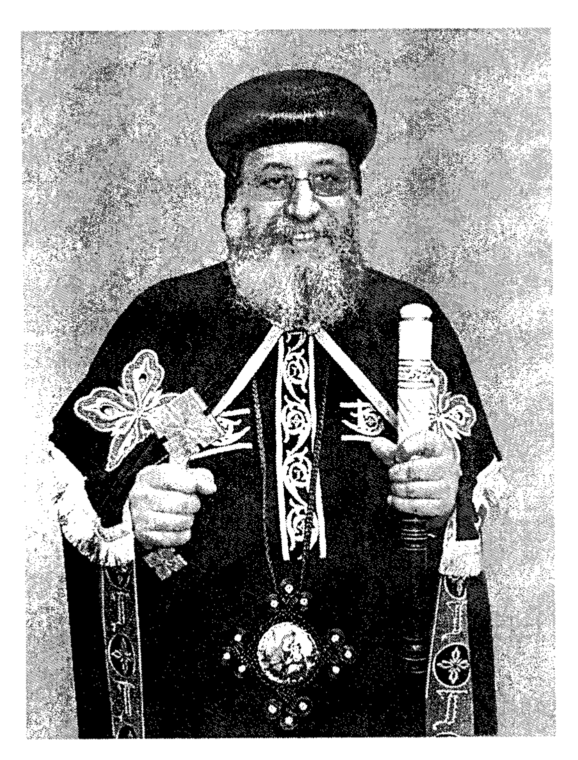
اسم المؤلف : القديس يوحنا ذهبي الفم والقديس غريغوريوس النيسي

المترجم : دكتور سعيد حكيم يعقوب

المطبعة : جي سي سنتر - ١٤ محمود حافظ ميدان سفير.
ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

الطبعة : الأولى نوفمبر/ ٢٠١٦

رقم الإيداع : ٢٠١٦/٢٣١٦٧



**قداسة البابا تواضروس الثاني**
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

# فهرس المحتويات


I . القديس يوحنا ذهبي الفم.............................. ٧

العظة الأولى:........................................ ١٥

مقدمة ............................................... ١٧

المسيح هو الله........................................ ٢٣

رئيس السلام......................................... ٢٣

النعمة إنسكبت على شفتيه: ............................ ٢٧

لماذا ارتجَّت الأمم: .................................. ٣٣

العرش الملوكي: ...................................... ٣٧

في كل الأرض خرج منطقهم: ............................ ٣٨

إسمه عظيم بين الأمم:.................................. ٤٥

يأتي ولا يصمت: ...................................... ٤٩

ويكون موته مجدًا:..................................... ٥٣

اللعنة صارت كرامة:................................... ٥٤

أُعطيَ سلطانًا ومجدًا:................................... ٦٣

أبواب الجحيم لن تقوى عليها: ......................... ٦٨

خراب الهيكل: ........................................ ٨٥

الآيات والعجائب:..................................... ٩٢

## I - القديس يوحنا ذهبي الفم

وُلد القديس يوحنا ذهبي الفم في مدينة أنطاكية سنة ٣٥٤م، في عصر استشرى فيه الفساد وانتشرت فيه الآثام والمعاصي، حيث كانت تشيع فيه روح البذخ والتنعم والافتخار بالثروة، وامتلاك القصور والعبيد والإماء، والانهماك في الشهوات والملذات. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يراقب كل هذا عن كثب، وكان يرى أن هذا المناخ لن يُفرز إلا تقسيمًا للمجتمع على أساس طبقي، وتمييزًا بين الأغنياء والفقراء، وإتساعًا لمساحة الظلم الإجتماعي، ولذلك فقد جاهد لرفع هذا الظلم، وإزالة هذه الفوارق الإجتماعية المعية، وكرّس حياته لنشر كلمة الإيمان، وتحقيق حياة الفضيلة، والسعي في خلاص النفوس بلا فتور. وفي كل هذا لم يكن يخشى أحدًا مهما كانت مكانته، بل إنه هاجم أباطرة بسبب سلوكهم غير المستقيم، وأيضًا لم يكن يتردد لحظة في مقاومة الظلم مهما كلفه هذا من متاعب، ولم يثنيه الاضطهاد عن التشبث بالحق والتمسك بمبادئه.

كان والده قائدًا للجيش، أما أمه وتدعى "أنثوسا" فقد ترملت في سن مبكر جدًا، وقد رفضت هذه الأرملة الشابة التقية الزواج مرة أخرى وكرّست كل حياتها لتربية يوحنا تربية روحية مستقيمة. وكان لهذه النشأة الروحية أكبر الأثر في حياته فيما بعد. فقد مارس حياة النسك فعليًا حتى أثناء تواجده مع أمه، لكن بعد انتقالها، ترك منزله وتوجه إلى البرية ليقضى ٤ سنوات في النسك إلى جوار ناسك سوري، ثم قضى سنتين بمفرده في احدي المغائر في جبال أنطاكية. إلا أن تدهور حالته الصحية أجبره على العودة إلى المدينة (أنطاكية). وقد تعمق في العلوم اللاهوتية أثناء فترة تنسكه تعمقًا كبيرًا، ظهرت نتائجه في تعاليمه اللاهوتية حتى أنه لُقب بذهبي الفم[١].

في عام ٣٨١م رسم شماسًا بيد الأسقف ميليتيوس، وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها:

1

Δ.Γ.Τσαμης. " Εκκλησιαστική Γραμματολογία ". Θεσλνίκη 1992, σελ.163-164.

١- ضد اليهود،

٢- ضد يوليانوس والأمم،

٣- عن البتولية،

٤- رسالة تعزية إلى أرملة شابة،

٥- الدفاع عن الرهبنة،

٦- الزواج ينبغي أن يكون مرة واحدة،

٧- ثلاثة رسائل إلى الراهب ستاجيريوس[٢].

وفي عام ٣٨٦م رسم كاهنًا، ومن هذه اللحظة بدأ خدمته الحقيقية ونشاطه المكثف، وصارت له شهرة واسعة، حيث ذاع صيته من خلال عظاته المتميزة وقدرته على الخطابة. ولم تقتصر خدمته فقط على عمله الوعظي والتبشيري، لكنه انشغل أيضًا وبشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوزين، ولهذا فقد كرّس جزءً كبيرًا من حياته في خدمة كل مَن له احتياج، الأمر الذي جعله محبوبًا جدًا في كل أنطاكية. وقد عاش حياة متقشفة، وكان ملبسه خشنًا ومأكله بسيطًا،

---

٢ Palladuis 5.

وكان يدوام على افتقاد الفقراء في بيوتهم ويزور المرضى والمسجونين ليخفف من آلامهم، وقد أكد بهذا السلوك على أن الحياة التعبدية لا يمكن ولا ينبغي أيضًا أن تكون في عزلة عن الحياة العملية، وبمعنى آخر لم تكن التقوى عنده بديلاً عن العمل.

في عام ٣٩٧م ـ وبأمر من الإمبراطور أركاديوس ـ ذهب إلى القسطنطينية، لتقلد الكرسي البطريركي، فقد أجمع القسوس وكل الشعب على تزكيته لهذا المركز الرفيع على غير رغبته. وقام برسامته البابا ثافيلوس الأسكندري سنة ٣٩٨م. ومنذ ذلك الحين عاد النظام إلى بطريركية القسطنطينية، فاعتنى بالحياة الروحية للمؤمنين وكثف من عمله التبشيري ونجح في ضم كثيرين من الهراطقة والوثنيين إلى الطريق الأرثوذكسي القويم. وبسبب استقامة رأيه وجرأته في الحق، تصادم مع كثيرين منهم الإمبراطورة أفذوكسيا والوزير الأول في الإمبراطورية أفتروبيوس. وقد وُجهت له اتهامات عديدة وأُجبر على النفي ولكن بسبب زلزال أصاب المدينة (القسطنطينية) ـ قال البعض إن هذا قد حدث

بسبب نفيه - فأمرت الإمبراطورة بعودته من المنفى. لكن بعد شهرين من عودته اختلف مرة أخرى مع أفذوكسيا، وأُقتيد إلى المنفى، وكانت أول محطة له هي مدينة كوكوسوس الأرمنية، وبعد وقت قليل صدر أمر آخر بإرساله إلى مدينة بيتوندا في الضفة الشرقية للبحر الأسود. لكنه لم يصل إلى هناك لأن الطريق كان طويلاً وشاقًا. وبسبب المتاعب الكثيرة والمعاملة السيئة التي لاقاها، تنيح في الطريق سنة ٤٠٧م[٣].

وتحتفل الكنيسة بتذكار نياحته في ١٧هاتور ٢٧نوفمبر.

**كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:**

القديس يوحنا هو من أكثر الآباء إنتاجًا، حيث تقع مؤلفاته في ١٧ مجلدًا في مجموعة الآباء باللغة اليونانية (Π.Γ. 47-64). وقد تنوعت كتاباته بين:

**عظات تفسيرية:**

+ سفر التكوين: ٨ عظات، تشكل تفسيرًا شاملاً للسفر.

---

[٣] المرجع السابق، ص١٦٥.

+ شرح المزامير: ٥٨ مزمورًا.

+ سفر إشعياء (٦ عظات).

+ إنجيل متى (٩٠ عظة)، تشكل تفسيرًا كاملاً.

+ إنجيل لوقا (٧ عظات).

+ إنجيل يوحنا (٨٨ عظة).

+ أعمال الرسل (٦٣ عظة).

+ عظاته على رسائل القديس بولس وهى تشكل نصف عظاته تقريبًا وتشغل الرسالة إلى رومية النصيب الأكبر من هذه العظات.

**كتابات عقائدية:**

+ ضد الأنوميين ١٢ عظة خُصصت للحديث عن الطبيعة الإلهية غير المدركة (Ἀκατάληπτο τῆς θείας φὺσης)

+ ١٢ عظة " للمعمدين الجدد".

+ ٨ عظات " ضد اليهود".

**عظات في موضوعات متفرقة:**

+ عن الرحمة.

+ عن المجد الباطل وكيفية تربية الأولاد.

+ ثم عظات عن الكهنوت (٦ كتب عن سمو الكهنوت والمواهب والواجبات التي ينبغي توافرها فيمَن يتقدمون لنوال سر الكهنوت).

+ عن الحياة الرهبانية.

+ عن الزواج والبتولية

**عظات في الأعياد والمواسم:**

+ عن ميلاد المخلّص. + عن الظهور الإلهي.

+ عن عيد الخمسين. + عن صلب المخلّص.

+ عن القيامة. + عن الصعود.

+ ثم عظة عن خيانة يهوذا.

**مديح للشهداء والأبرار القديسين:**

مثل أيوب، المكابيين، الشهداء الأساقفة القديسين، القديس بولس.

**رسائل:**

+ كتب ٢٣٦ رسالة ومعظمها أُرسلت من المنفى.

+ ١٧ رسالة إلى الشماسة أولمبيا والتي كانت تعاونه في خدمته.

# العظة الأولى

## المسيح هو الله

للقديس يوحنا ذهبي الفم

# مقدمة

في هذه العظة يقدم القديس يوحنا ذهبي الفم، براهين وإثباتات واضحة كل الوضوح تؤكد على أن المسيح هو الله الظاهر في الجسد، متوجهًا لليهود والأمم، مُستشهدًا بما قاله الأنبياء في مواضع كثيرة. أي أنه يستخدم الكثير من نصوص العهد القديم، مقدمًا الدليل تلو الآخر، للتأكيد على أن المسيح هو الله، وأن مجيئه إلينا على الأرض، قد سبق الأنبياء وأخبروا به. وهذه النصوص التي يستشهد بها، لا تتنبأ فقط عن مجيء المسيح، بل والطريقة التي تحقق بها هذا المجيء، والتفاصيل الكثيرة عن حياته، وتعليمه، وآلامه. هذه العظة تمثل بالحقيقة رسالة واضحة مبنية على حقائق ثابته بأقوال الأنبياء.

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم، لأن كثيرين من الناس باتوا كسالى، البعض منهم هو هكذا بالطبيعة، والبعض الآخر قد إبتلعته إهتمامات وإنشغالات الحياة اليومية، والبعض الآخر أيضًا إذ يسود عليهم الجهل، لا يستطيعوا أن يحتملوا

الحديث المطوَّل. فقد وجدت أنه من الضروري أن أخفف من عنائكم، وأن لا أطيل حديثي. حتى أتغلب على تراخي الكسالي، من خلال تلخيص حديثي وإختصاره، وأن أُقنع أولئك الذين ليس لديهم دافعًا للقراءة، أن يستمعوا للحديث الذي سأتكلم فيه برغبة كبيرة ونية صادقة. لذلك لن أُزيّن حديثي بعبارات جميلة، وكلمات برَّاقة، بل سأستخدم الكلمات بوضوح، حتى تكون بسيطة، وسهلة الفهم، بأفضل ما يكون بالنسبة لعمل الخادم، والخادمة، والأرملة، والتاجر، والبحَّار، والفلاح. أيضًا سأحاول أن أختصر حديثي الطويل قدر الإمكان، بكلمات قليلة، فاتحًا لشهية كل واحد من السامعين المتوانين، ليفهموا ما سأقوله بسهولة، دون أي تعب أوعناء، حتى تصبح هذه الكلمات ملكًا لهم، ومحفورة في ذاكرتهم. وسأبدأ الصراع أولاً ضد الأمم، لأنه لو تصادف وتساءل الوثني: من أين يمكن إثبات أن المسيح، هو الله؟ هذا بالطبع يجب أن نضعه أولاً كأساس، لأن كل الأمور الأخرى تتبعها، ولن أبحث عن البرهان من السماء. وإن قلت له إنه هو الذي خلق السماء، والأرض،

والبحر، فلن يقبل. وإن قلت له إنه أقام الموتى، وفتّح عيون العميان، وأخرج شياطين، فلن يقبل هذا أيضًا. وإن قلت له إنه وَعَد بملكوت السموات، وخيرات لا حصر لها، وإن حدّثته عن القيامة، فإنه ليس فقط لن يقبل، بل وسيسخر. إذًا كيف ستقوده للإيمان بأن المسيح هو الله، خاصةً إن كان عاميًا وبسيطًا؟ ليس من موضع أخر، سوى تلك التي نقبلها نحن، وهو، دون صعوبات أو إعتراضات، أي من تلك النصوص التي لا يمكن الشك فيها.

فلو أنني وضعت أمامه أنه خالق السموات، وكل الأكوان الآخرى كما قلت سابقًا، ما كان له أن يقتنع بسهولة. إذًا ما هي تلك العناصر التي يقبلها، والتي تقول إن المسيح هو خالق كل شيء، والتي تجعله لا يُبدي أي إعتراض؟ إن المسيح خلق الحياة الجديدة للمسيحيين المولودين بالروح. وبالطبع لن يرفض هذا، بمعنى أنه جمَّع الكنائس في كل المسكونة (في الكنيسة الجامعة). إذًا الآن ومن خلال هذا، سنُقدم الدليل والبرهان على قدرته وقوته، وسنُثبت بأنه هو الله، وأنه من غير الممكن

لإنسان بسيط في هذا الوقت المحدود، أن يجوب كل المسكونة في البر، والبحر، وأن يجذب إليه إناسًا كثيرين، كانوا مُقيدين بعادات سيئة، بل وبالأكثر مملوءين بشرور كثيرة. ومع ذلك إستطاع أن يُحرر كل جنس البشر، ليس فقط الروم والفرس، بل وكل شعوب البربر بشكل عام. وقد حقّق كل هذا، دون أن يستخدم أسلحة، أو ينفق أموالاً، ودون أن يكون له جيشًا، ولا شنَّ حروبًا، بل بأحدى عشر تلميذ فقط، مجهولين، لا شأن لهم، جهّال، عاميين، فقراء، متجردين، بلا سلاح، بلا أحذية، وملابسهم بالية. ماذا أقول، مَن الذي يمكنه تحقيق كل هذا؟ لقد إستطاع أن يُقنع أممًا كثيرة، بأن لا ينحصر تفكيرهم في هذه الحياة الحاضرة فقط، بل في حياة الدهر الآتي، وأن يُبطل نواميس موروثة، وأن يقتلع عادات قديمة من جذورها، كانت راسخة لسنوات عديدة مضت، وأن يزرع بذور حياة جديدة بدلاً منها، وأن يُعلّم بالإبتعاد عن الطريق السهل، ووجوب السلوك في الطريق الضيق، وأن يتمِّم كل هذا، بينما الجميع قد حاربوه وقاوموه، وإحتمل الصلب المهين، والموت المخزي.

وبالطبع لن يرفضوا أنه صُلب من قِبل اليهود، وأنه عانى منهم شرورًا لا حصر لها، وبالرغم من كل ذلك، فإن تعليمه يتقدم ويرتقي كل يوم.

والعجيب أن هذا التعليم لم يزدهر هنا فقط، بل لدى الفرس أيضًا، وحتى اليوم لازالوا يحاربون تعليمه. الآن يوجد عدد كبير من الشهداء من الفرس، وأولئك الذين كانوا أكثر وحشية من الذئاب، قبلوا تعليم الإيمان، وصاروا أكثر وداعة من الحملان، وسعوا إلى خلاص نفوسهم.

وقد تحققت كل هذه الإنجازات، ليس فقط في المدن، بل وفي الصحراء، وفي القرى، وفي البلدان. وفي الجزر، وفي المراسي، وفي المواني. وليس فقط أناس بسطاء، أو قادة، بل أيضًا ملوك قد خضعوا بإيمان كبير للمصلوب.

نسأل المسيح إلهنا أن يبارك في كلمات هذا الكتاب، لنمو المؤمنين وبنيان الكنيسة بشفاعة والدة الإله العذراء القديسة مريم، وصلوات أبينا المعظم قداسة البابا تواضروس الثاني، ولإلهنا

الثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس، كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين.

نص هذه العظة موجود في بترولوجيا ميني Tóμος 48 ص٨١٣ -٨٣٨.

# المسيح هو الله

## رئيس السلام

والآن سأحاول أن أبرهن على أنه ليس فقط أن كل هذا قد تم، بل وقد تم التنبؤ به منذ زمن بعيد. لكي لا يكون لديكم أي شك، حتى ولو كان بسيطًا، فإنني أرى أنه من الضروري أن أستشهد بكتب اليهود الذين صلبوا المسيح، وها هي الشواهد من الأسفار المقدسة، والتي يحفظها هؤلاء بكل وقار حتى الآن، وأن أفحصها أمام أعين أولئك الذين لا يؤمنوا. فمن حيث أن الله صار إنسانًا. بالرغم من أنه الله، فهذا ما يقوله إرميا النبي أولاً "هذا هو إلهنا الذي لا مثيل له وجد طريق الحكمة وأعطاها ليعقوب عبده لإسرائيل حبيبه. ثم تراءت على الأرض ومكثت بين البشر"[٤]. أرايت كيف أنه بواسطة كلمات قليلة، قد أوضح كل هذا، وأنه بينما هو الله، صار إنسانًا وخالط البشر وعاش بينهم، وأنه هو ذاته مُشرّع العهد القديم؟ يقول " وجد

---

[٤] أنظر باروك٣:٣٦-٣٨.

طريق الحكمة وأعطاها ليعقوب عبده وإسرائيل حبيبه". هنا يُبين بأنه قبل حضوره في الجسد، كان يحكم ويُدبر كل شيء، أوجد نواميس، كان ينظر ويهتم بكل شيء، ويصنع إحسانات كثيرة. إسمع الآن كيف يتكلم نبي آخر، ويقول إنه ليس فقط سيصير إنسانًا، بل إنه سيُولد من عذراء " هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»"[٥]. وهذا الإسم معناه " اللّه معنا". وبعد ذلك، ولكي يبيِّن بأن هذا الحدث (أن اللّه صار إنسانًا)، ليس حدثًا خياليًا، بل حقيقيًا، أضاف قائلاً: " لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تُهجر الأرض"[٦]. وبالإضافة إلى أنه ليس فقط قد صار إنسانًا، وانه ولدِ من عذراء، بل أيضًا أتى من نسل داود، إسمع كيف تنبأ إشعياء بذلك، مستخدمًا صورًا رمزية، وكلمات مجازية، يقول: " وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى، وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ"[٧]. يسىَّ

---

[٥] إش٧: ١٤.
[٦] إش٧: ١٦ (س).
[٧] إش١١: ١-٣.

هذا كان والد داود، إذًا فمن الواضح جدًا أنه أتى من هذا النسل، من جزع يسىَّ، هذا ما تنبأ به، قائلاً: "ويخرج من جذع يسىَّ". بالطبع هو لا يتحدث عن غصن حقيقي، بل يقصد المسيح، ومملكته. ومن حيث أنه لا يتكلم عن غصن حقيقي، فهذا قد أظهره بقوله: " ويحل عليه روح الرب روح الحكمة". ولا يوجد أحد، حتى وإن كان غبيًا يزعم بأن نعمة روح الله، ستحل فوق فرع شجر، بل الواضح كل الوضوح بأن الذي أتى إلى ذهن النبي، المسيح الذي بلا خطية، لذلك لم يقل " سيأتي روح الرب" بل "سيحل عليه روح الرب". لأنه عندما أتى، ظل هنا ولم يرحل، وهذا ما أعلنه يوحنا المعمدان، قائلاً: "رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ"[٨]. ولم يخفِ اليهود رأيهم بمجرد أنه ولد المسيح، فيقول القديس متى البشير " فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ"[٩]. إسمع الآن كيف تنبأ إشعياء بذلك قائلاً: " مع كل ثوب ملطخ بالدماء أحرقتها مأكلاً للنار. لأنه يولد لنا ولد ونُعطي إبنًا

[٨] يو ١:٣٢.
[٩] مت ٢:٣.

وتكون الرئاسة على كتفه. ويدعى إسمه مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا رئيس السلام"[10]. من الواضح إذًا، حتى بالنسبة للناس الذين يرغبون بشدة في النزاع والجدال، أنه لا يستطيع أحدًا أن يقول إن هذا الكلام ينطبق على إنسان، طالما أنه لا يوجد أحد بين البشر، قد دُعيَّ إلهًا قديرًا، ولا رئيس السلام، منذ أن خَلق الله العالم. وأيضًا يقول: " لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ "[11]. طبيعة الأمور ذاتها، تُوضح ذلك، أنه عبر كل الأرض، كل البحر، كل مكان معمور، وكل مكان غير معمور، جبال، ومنخفضات، ومرتفعات. ومن ذلك اليوم الذي قرَّر فيه أن يصعد إلى السماء، قال لتلاميذه " سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا"[12]. لماذا تكلم المسيح هكذا؟ لأن سلام البشر، من السهل أن ينقضى ويتبدد، وخاضع لتحولات كثيرة. أما سلام المسيح، فهو سلام حقيقي وأكيد، غير متحول، راسخ، ودائم، وليس له نهاية، حتى وإن شُنَّت حروب كثيرة من

[10] إش٩:٥-٦ (س).
[11] إش٩:٧.
[12] يو١٤:٢٧.

كل جانب، أو نُصِبت لنا شراك لا حدود لها. لكن كلمته التي تُحقّق كل شيء، تُحقّق أيضًا هذا السلام.

## النعمة إنسكبت على شفتيه:

ولم يتنبأوا فقط، بأنه سيصير إنسانًا، بل تنبأوا أيضًا بطريقة حضوره، لأنه أراد أن ينزل إلى أرضنا دون إبهار، ودون أن يلقي صواعق من السماء، ودون أن يُحدِث زلازال على الأرض، أو يَرجّ السماء، ودون أن يُحدث أي مفاجأة، بل في هدوء، ودون أن يعرف أحد، وُلِدَ في بيت حقير وفقير. إسمع ماذا قال داود النبي الذي لم يصمت عن ذلك أيضًا " يَنْزِلُ مِثْلَ الْمَطَرِ عَلَى الْجُزَازِ"[١٣]، موضحًا بذلك سكونه. وهدؤه. وليس هذا فقط، بل يقدم وداعته، وإحساناته التي أظهرها للبشر، إنتبه ماذا يقول نبي آخر، عندما أهانوه، وبصقوا عليه، وإستهزؤا به، وجلدوه، وفي النهاية صلبوه، إلا أنه لم يدافع عن نفسه في مواجهة مَن عذبوه، بل على العكس من ذلك فقد إحتمل كل هذا بطيب نفس ووداعة، أي

[١٣] مز ٧٢:٦.

الإهانات، والشرور، والغضب، وظلم أولئك الناس، وإفتراءهم عليه. كل هذا قد أوضحه، قائلاً: " قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ (للأمم)"[١٤]. نبى أخر يُشير إلى مكان ولادته، قائلاً: " أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ"[١٥].هذا قد أظهر الطبيعة الإلهية، والطبيعة الإنسانية للمسيح، لأنه بقوله إن وجوده منذ الأزل، فهو يوضح وجود المسيح السابق على الأزمنة، أما عندما يقول " الذي يكون متسلطًا على إسرائيل"، فإنه يوضح ولادته حسب الجسد. إنتبه أيضًا لنبوة أخرى تشرق في هذا السياق، بمعنى أنه لم يقل فقط إنه سيُولد، بل ومكان ولادته سيكون معروفًا، حتى وإن كان زهيدًا، وبسيطًا، وصغيرًا " وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ

---

[١٤] إش٤٢:٣.
[١٥] ميخا٥:٢.

يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا"[١٦]، هكذا هو مكتوب بالنبي.

والآن المسكونة كافة، تركض لرؤية بيت لحم، هناك حيث وضِعَ، عندما وُلِدَ، وهم يذهبون إلى هناك لهذا السبب فقط. ونبي آخر يتنبأ عن الزمن أو العصر الذي سيظهر فيه على الأرض، إذ يقول: " لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ، غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ. مُسْوَدُّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبْيَضُّ الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ"[١٧]. لاحظ كيف تحقت هذه النبوة، لأنه ظهر آنذاك، عندما لم يكن هناك رؤساء لليهود، وكانوا تحت سلطة الرومان، وهكذا تمت النبوة التي تقول: " لا يزول الصولجان من يهوذا ولا عصا السلطان من صلبه إلى أن يتبوأ في شيلوه"، ويقصد المسيح. وعندما وُلِدَ، صار أول إحصاء للشعب في العصر الذي إنتصر فيه الرومان على اليهود، وقادوهم تحت نير مملكتهم. وشيئًا

---

[١٦] مت٢:٦.
[١٧] تك٤٩:١٠-١٢.

آخر تعنيه هذه الكلمات: " وله يكون خضوع الأمم"، لأنه عندما آتى جذب إليه جميع الأمم. وفيما عدا ذلك، فإن هيرودس، أراد أن يقتل كل الأطفال الذين ولِدوا هناك، طالبًا المسيح المولود. أيضًا لم يصمت الأنبياء عن ذكر هذا، بل منذ سنوات بعيدة، تنبأوا قائلين: " صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ، نَوْحٌ، بُكَاءٌ مُرٌّ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَزَّى عَنْ أَوْلاَدِهَا لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ"[١٨]. ومن حيث أنه يأتي من مصر، هذا أيضًا تنبأوا عنه: " وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي"[١٩]. وعندما أتى إلى أماكن معروفة، راغبًا في أن يُجري معجزات في الحال، وأن يُعلّم، فهذا أيضًا تنبأوا به، إسمع ماذا يقول إشعياء النبي " أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ نَفْتَالِي... اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ"[٢٠]. إنه يُعلن بهذه الكلمات، مجيئه إلى الأرض، وإستنارتهم بواسطة الآيات والمعجزات التي صنعها. بعد ذلك يصف معجزات آخرى ويوضح كيف أنه شفى عرجًا، وفتَّح

[١٨] إر ٣١: ١٥.
[١٩] هوشع ١١: ١.
[٢٠] إش ٩: ١-٢.

أعين العميان، وجعل الخرس يتكلمون، يقول: "حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ وَيَتَرَنَّمُ لِسَانُ الأَخْرَسِ"[٢١]، الأمر الذي لم يحدث قط، إلا حين أتى المسيح إلى أرضنا. وقد أوردوا بعض المعجزات على وجه الخصوص. فقد أتى ذات مرة إلى الهيكل. والأطفال التي كانت بعد ترضع، ولم يصلوا بعد إلى مرحلة التكلّم، سبحوا مع الشعب، بتسابيح مقدسة، قائلين " مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!"[٢٢]. هذا عينه ما يتنبأ به النبي قديمًا. قائلاً: " مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْدًا بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ"[٢٣].أرايت كيف أن طبيعة الطفولة قد صارعت وتجاوزت ذاتها، وكيف أن هذا العمر البريء، والذي لم يبلغ مرحلة الكلام بعد، أستطاع أن يُمجدَّ الخالق. أرايت كيف قبلوا الكرازة الرسولية؟

وعندما كان يتكلم مع اليهود، كثيرًا ما تحدث عن الجحود، وعادةً ما كان يتكلم بطريقة رمزية،

---

[٢١] إش٣٥:٥-٦.
[٢٢] مت٢١:٩.
[٢٣] مز٨:٢.

وبألغاز، وأمثال. وهذا أيضًا قد تم التنبأ به: " فَتْحُ بِمَثَلٍ فَمِي. أُذِيعُ أَلْغَازًا مُنْذُ الْقِدَمِ"[٢٤]. بل وإظهار قدرته الخطابية، قد تنبأ بها المرنم، قائلاً: "إنسكبت النعمة على شفتيك"[٢٥]، أيضًا يقول نبي أخر: " هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا"[٢٦]. ويحدثنا عما تحقق بهذا الحضور الإلهي والذي صاحبته معجزات مختلفة، يقول النبي نفسه: " رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ"[٢٧]. ثم تنبأوا أيضًا بأن اليهود سيُغضِبون ذاك الذي أحسن إليهم جدًا، بالرغم من أنهم لم يستطيعوا أن يدينوه بأي شيء، لا بشيء بسيط، ولا بشيء مهم. إسمع داود النبي الذي تنبأ بذلك، قائلاً: " أَنَا سَلاَمٌ، وَحِينَمَا أَتَكَلَّمُ فَهُمْ لِلْحَرْبِ"[٢٨]. مكتوب أنه دخل المدينة (أورشليم)، راكبًا على حمار، وهذا ما تنبأ به زكريا آنذاك قائلاً: " اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ

---

[٢٤] مز٧٨:٢.
[٢٥] مز٤٥:٢.
[٢٦] إش٥٢:١٣.
[٢٧] إش٦١:١.
[٢٨] مز١٢٠:٧.

صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ"[٢٩].

## لماذا ارتجّت الأمم:

طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارفة، وفعل هذا بدافع من محبته لهيكل الله، وفي نفس الوقت أظهر أن ما فعله ليس ضد إرادة الآب، بل وفق إرادته. لذلك فقد دافع عن الهيكل، لأن داخل الهيكل كانت تُجرىَ مساوامات خاصة بالبيع والشراء. ولا هذا أيضًا قد تركه الأنبياء بلا ملاحظة، لأن داود النبي سبق فتكلم عن هذا، وخاصة عن سبب إنفعاله، إذ يقول: " لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي"[٣٠]. وهل هناك ما هو أكثر سهولة للفهم من ذلك؟ لقد رتّبَ يهوذا أن يُسلِّم المسيح، الذي أكل معه على مائدة واحدة، فقد سبق وأَعدَّ للخيانة. إنتبه كيف تنبأ نفس النبي عن ذلك أيضًا، قائلاً: " رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ

---

[٢٩] زك٩:٩.
[٣٠] مز٦٩:٩.

عَقِبَهُ!"[31]. لاحظ الآن كيف يتفق هذا الكلام مع ما قاله القديس متى البشير: " الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي!"[32]. والأمر هنا ليس فقط في إرتباطه بمن سلّمه، بل ببيع هذا الدم الكريم، ونوال مكافأة مالية نظير ذلك. ولا هذا قد تجاهله النبي أيضًا، بل إنه أظهر الإتفاقات المخجلة، والكلمات التي تبادلوها فيما بينهم، إذ يقول " يَا إِلَهَ تَسْبِيحِي لاَ تَسْكُتْ، لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ عَلَيَّ فَمُ الشِّرِّيرِ وَفَمُ الْغِشِّ"[33]. هذا الخائن (يهوذا)، قد ندم بعد أن فعل ما فعله، وألقى بالنقود، ثم وضع نهاية لحياته، وشنق نفسه وترك زوجته أرملة، وأبناءه أيتامًا، وبيته أصبح خرابًا. لاحظ كيف يحكي النبي ويسرد هذه الكارثة، وبأي إسلوب يقصّها: " لِيَكُنْ بَنُوهُ أَيْتَامًا وَامْرَأَتُهُ أَرْمَلَةً. لِيَتِهْ بَنُوهُ تَيَهَانًا وَيَسْتَعْطُوا، وَيَلْتَمِسُوا خُبْزًا مِنْ خِرَبِهِمْ"[34]. وبعد أن حدث ذلك، أخذ مكانه واحد من الرسل وهو متياس. وهذا الحدث أيضًا قد أورده نفس النبي قائلاً: " وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ"[35].

---

[31] مز ٤١:٩.
[32] مت٢٦:٢٣.
[33] مز ١٠٩:١.
[34] مز ١٠٩:٩-١٠.
[35] مز ١٠٩:٨.

عندما سُلّم المسيح، وتم القبض عليه بإرادته، وحددوا له محاكمة مُشكّلة من اليهود والأمم، بالمخالفة للقانون، فلتلاحظ كيف أن هذا قد سبق وأخبر به النبي أيضًا: " لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ "[٣٦]. ولم يتم التنبؤ بذلك فقط، بل وبصمته أيضًا، لأنه بينما ما قيل كان كثيرًا، والإتهامات كثيرة، إلا أنه وقف بينهم صامتًا، وهذا ما قاله إشعياء النبي: " كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ"[٣٧]. بعد ذلك، أظهر كيف أن هذا الحكم، كان ظالمًا. فيقول: " مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ"[٣٨]. وهو بهذه الكلمات، أراد أن يقول: إن لا أحد قد حَكَمَ عليه بالعدل. بعد ذلك أشار إلى سبب موته، لكنه لم يُعانِ ما عاناه، بسبب خطاياه، إذ كان بلا خطية وطاهرًا، بل جاز كل هذه الآلام، من أجل حياة العالم. وهذا ما أشار إليه النبي، قائلاً: " لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ"[٣٩]. هكذا أوضح

---

[٣٦] مز ٢:١.
[٣٧] إش٥٣:٧.
[٣٨] إش٥٣:٨.
[٣٩] إش٥٣:٩.

لأجل مَن ذُبح، بل أضاف سببًا آخر: " مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا"[٤٠]. ومن ناحية أخرى أراد أن يبيّن، ليس فقط سبب الموت على الصليب، وهذا قد سبق وأخبر به، قائلاً: " كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا"[٤١]. ومن جهة أن اليهود سيُعَاقَبوا لأجل شرورهم، فهذا قد أوضحه بقوله: " وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ"[٤٢]. أيضًا قال داود النبي: " لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا" ثم أضاف " اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ"[٤٣]. ويعني بذلك، تشتتهم في كل العالم. هذا ما أعلنه المسيح له المجد في الأناجيل قائلاً: " أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي"[٤٤]. وعلى ذكر الموت، فإنهم لم يصمتوا أيضًا عن الإشارة إلى طريقة الموت، هذا ما ذكره داود النبي قائلاً: " ثَقَبُوا يَدَيَّ

---

[٤٠] إش٥٣: ٥.
[٤١] إش٥٣: ٦.
[٤٢] إش٥٣: ٩.
[٤٣] مز٢: ٣-٤.
[٤٤] لو١٩: ٢٧.

وَرِجْلَيَّ. أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي"[٤٥]. ولم يغب عنه، تلك المخالفة والتجاوزات التي فعلوها بعد الصلب، يقول: "يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ"[٤٦].

## العرش الملوكي:

بعد ذلك أعلن عن دفنه، بقوله: " وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاقٍ"[٤٧]. ثم تحدث بعد ذلك عن قيامته: " لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا"[٤٨]. هذا ما قاله إشعياء أيضًا بإسلوب مختلف: " أما الرب فشاء أن يشفيه من جراحاته ويريه النور ويجازي البار الذي برر كثيرين"[٤٩]. وقد أوضح أيضًا أنه مات لكي يحمل خطايا البشر، قائلاً: " وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ"[٥٠]. وأنه خلّص البشر من الشياطين يقول: " ومع العظماء يقسم غنيمة" وأنه حقّق كل هذا بموته، يقول: " من أجل أنه سكب للموت نفسه". ومن حيث أنه صار ملك المجد، فهذا قد أوضحه،

---

[٤٥] مز ٢٢: ١٦-١٧.

[٤٦] مز ٢٢: ١٨.

[٤٧] مز ٨٨: ٦.

[٤٨] مز ١٦: ١٠.

[٤٩] إش٥٣: ١٠ (بحسب المخطوط القديم).

[٥٠] إش٥٣: ١٢.

بقوله: " وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ"[٥١]. وإشعياء أيضًا يقول: " أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ، وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ. وَأُعْطِيكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِئِ"[٥٢]. ويقصد بهذا، الجحيم. بالطبع يمكن أن ينطبق هذا على الجحيم، لكنه حفظ نفوس مُقدسة، وأجساد كريمة مثل إبراهيم، إسحق، ويعقوب. لذلك فقد دعاهم، كنوزًا، ولكنه ذكر الظلمة هنا، لأن شمس البر، لم يُنر هناك، ولا علّم عن القيامة. إسمع ماذا قال داود النبي أيضًا، عندما قام من الأموات، أنه لن يقف إلى جوار الملائكة أو رؤساء الملائكة، ولا أي قوة روحية أخرى، بل يجلس على العرش الملوكي: " قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ»"[٥٣].

## في كل الأرض خرج منطقهم:

بعد ذلك كان محددًا سلفًا، أن يُرسل رسلاً، وهذا قد أعلنه إشعياء بقوله: "مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ

---

[٥١] مز ٢٤: ٧.
[٥٢] إش٤٥: ٢-٣.
[٥٣] مز ١١٠: ١.

قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ، الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ، الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ"[٥٤]. إنتبه إذًا، أي عضو من أعضاء الجسد يمتدح، إنه يمتدح القدمين اللتين حملتهم إلى كل مكان. بعد ذلك يشير داود النبي إلى الطريقة التي إحتفظوا بها في بشارتهم " الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ"[٥٥]. لأنه من المؤكد أنهم لم يستخدموا أسلحة، ولا أنفقوا أموالاً، ولا غلبوا بإمكانياتهم وقدراتهم الذاتية، ولا بحشود من الجنود، ولا بأي أمور أخرى شبيهة، بل بكلمات فقط، بكلام يحمل قوة كبيرة، وقد تبرهن ذلك بالمعجزات. ها هي الطريقة التي سادوا بها على كل المسكونة، كارزين بتعليم المصلوب، وقد أجروا المعجزات. والرب سيعطي أولئك الذين يبشرون بالإنجيل، كلمة وقوة عظيمة، ويعني بها، تلك المعجزات التي أجروها. لأنه من المؤكد أن هذه قوة عجيبة، أن الصياد، والعشار، وصانع الخيام، يُقيمون الأموات، بكلمة منهم ويخرجون الشياطين، ويقيدون ألسنة الفلاسفة، ويسدوا أفواه الخطباء،

---

[٥٤] إش٥٢:٧.
[٥٥] مز٦٨:١١.

ويتغلبوا على ملوك وقادة، وينتصروا على بربر، وأمم كثيرة، وبالصواب تكلّم النبي هكذا. لأن كل هذا قد حققوه بالكلمة، وبقوة الكلمة، أعادوا الحياة إلى أموات، جعلوا الخطاة، أبرارًا، فتحوا أعين عميان، شفوا أمراضًا جسدية ونفسية. من أين إذًا آتتهم هذه القوة التي كانت لديهم؟ من الروح القدس. هكذا يذكر سفر الأعمال: "وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"[٥٦]. وكان الجميع رجالاً ونساءًا، يتنبأون بدون تمييز، لأنه قد ظهرت ألسنة من نار، وإستقرت فوق كل واحد منهم. وهذا ما تنبأ به يوئيل النبي آنذاك، قائلاً: " أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ... قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ"[٥٧]. يتكلم عن هذا اليوم العظيم، ويقصد يوم حلول الروح القدس، وأيضًا اليوم المرتبط بنهاية العالم. نفس النبي سبق فأخبر بالخلاص الذي بالإيمان، أي

---

[٥٦] أع٢:٤.
[٥٧] يوئيل٢:٢٨-٣١.

ولا هذا الخبر قد صمت عنه، يقول: "وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو"[٥٨].

إن الله سيرسل مبشرين إلى كل أرجاء العالم، ولن يستثنى أحد من سماع هذه البشارة. وبالطبع هذا قد نادى به الأنبياء منذ سنوات بعيدة، إسمع داود النبي الذي تنبأ بذلك: " فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ"[٥٩]. فقد أراد أن يبيّن، أنهم بشّروا بعد أن نالوا قوة وكانوا أكثر قوة من الملوك. وفي موضع آخر يقول نفس النبي: " تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ"[٦٠]. والأحداث ذاتها تبيّن أن القديسين بطرس وبولس، كانا أكثر قوة من الملوك والرؤساء. لأن قوانين الملوك، قد بَطُلَتَ حتى وهم على قيد الحياة، أما قوانين الصيادين فقد ترسَّخت، حتى بعد أن إنتقلوا من هذه الحياة، وبقيت ثابتة لا تتزعزع، على الرغم من محاولات الشياطين، والعادات الضاربة في القِدم، والشرور والمتع، وتجارب أخرى لا حصر لها، والتي لم تنقض هذه القوانين.

---

[٥٨] يوئيل ٢: ٣٢.
[٥٩] مز ١٩: ٤.
[٦٠] مز ٤٥: ١٦.

وبعد ذلك أراد أن يوضح أن هؤلاء، بعدما أخذوا السلطان في أيديهم، فازوا بمحبة الجميع، لذلك أضاف: " مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ"[٦١]. أي سيشكرونك، ويكونوا مدينين لك بالإحسان، لأنك أعطيت لهم مثل هؤلاء القادة الروحيين. كما تنبأ داود النبي أيضًا بأن كرازتهم ستصل إلى كل مكان، إذ يقول: " اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ"[٦٢]. هذا عينه ما يقوله نبي آخر: "لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ"[٦٣]. لاحظ كيف كانت الطاعة سهلة، ولم يعودوا يُعلّمون بعد كل واحد صاحبة وكل واحد أخاه قائلين: " اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ"[٦٤]. أيضًا تنبأوا بثبات الكنيسة: "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ"[٦٥]. وإنه لن تكون فقط ثابتة، وراسخة، وغير

---

[٦١] مز ٤٥:١٧.
[٦٢] مز ٢:٨.
[٦٣] إش ١١:٩.
[٦٤] إش ٣١:٣٤.
[٦٥] إش ٢:٢.

متزعزعة، بل أيضًا ستنتشر السلام في أرجاء المسكونة، وستَبطُل في كل المدن، ديمقراطية الملوك، وستوجد مملكة واحدة فقط، تحوي الجميع، وسيتمتعون بسلام وفير، وليس كما الآن. قديمًا كان جميع الحرفيين والخطباء، يصطفوا للإعداد للحرب، لكن عندما أتى المسيح، إنتهى كل هذا، وإنحصرت الحروب في أماكن محدودة. هذا ما أوضحه إشعياء النبي، قائلاً: " فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ"[٦٦]. بالطبع كان الجميع قبلاً، يعيشون على هذه الحرف. أما الآن فقد توارت (صناعة السيوف والمناجل) تمامًا، ولكن إن وجد البعض يمارسون هذا الأمر، فهم قليلون، وغير متحدين، وليسوا كثيرين كما كان الوضع في البداية، حيث كانت الثورات كثيرة، وكانت تشتعل في كل أمه، بعد ذلك أخبروا عن تكوين الكنيسة، ومما تتشكل. لأنه من المؤكد أنه لا يوجد داخل الكنيسة أناس ودعاء، ولطفاء،

---

[٦٦] إش٢:٤.

وأمناء، بل أيضًا متوحشين، وقساة، وسيكونوا مُلزمين أن يتآلفوا فيما بينهم، كما لو كانوا ذئابًا، وأسودًا، وثيرانًا، وفي النهاية يصير الجميع كنيسة واحدة، إسمع كيف يصف النبي تنوّع هذا القطيع، قائلاً: " فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ"[٦٧]. مُظهرًا بذلك مدى بساطة حياة الملوك. ومن حيث أن هذه الأمور لم يقصد بها الحيوانات المفترسة، وإلا فليقل لنا اليهودي، متى حدث شيء مثل هذا؟ لأنه بالطبع لا يمكن للذئب أن يرعى مع الخروف. وحتى لو إستطاع أن يرعى، فماذا يستفيد البشر من وراء هذا الحدث؟ بالتأكيد هو يقصد سلوك البشر المتوحشين، أي السكيثين، وأهل ثراكي، الزنوج، الهنود، والفرس أيضًا. ومن حيث أن هذه الأمم قد أُقتيدت إلى الخضوع لنفس النير، فهذا ما أورده نبي آخر: "أجعل الشعوب شفاها طاهرة ليدعوا بإسم الرب ويعبدوه بقلب واحد"[٦٨]. وليس فقط في أورشليم، بل في كل المسكونة. أي لن يُجبروا الناس

---

[٦٧] إش١١:٦.
[٦٨] صفنيا ٣:٩ (س).

على الذهاب إلى أورشليم، بل كل واحد يبقى في بيته، ويمكنه أن يُتمم واجباته الدينية.

## إسمه عظيم بين الأمم:

وبالنسبة لتشتت اليهود، فهذا أيضًا ما قد تنبأ به النبي قائلاً: " مَنْ فِيكُمْ يُغْلِقُ الْبَابَ، بَلْ لاَ تُوقِدُونَ عَلَى مَذْبَحِي مَجَّانًا؟"[٦٩]. ومن حيث أن البعض سيخدم الله ويسجد له، فهذا أيضًا قد أخبر به: " أَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لاسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ"[٧٠]. أرايت كيف أظهر أهمية وأصالة العبادة؟ وكيف يكون التميّز والإختلاف؟ وأن المكان لا يحمل أهمية، ولا الروائح، والأبخرة، بل الطريقة المختلفة التي تتم بها العبادة؟ وكيف جذب الرسل كل هؤلاء؟ فذاك الذي تكلّم لغة واحدة فقط، وهي اليهودية، كيف أقنع السكيثي، والهندي، والثراكي أن يقبلوا الإيمان؟ هذا كان أمرًا طبيعيًا، بعدما أخذ موهبة التكلم بالألسنة، كعطية من الروح القدس، وهذا أيضًا ينطبق على

---

[٦٩] ملا ١: ١٠.
[٧٠] ملا ١١: ١.

الأمم. ومن حيث أن هذا الأمر، لم يجذب اليهود، إسمع كيف أوضح النبي هذا، قائلا: " إِنَّهُ بِشَفَةٍ لَكْنَاءَ وَبِلِسَانٍ آخَرَ يُكَلِّمُ هذَا الشَّعْبَ... وَلكِنْ لَمْ يَشَاءُوا أَنْ يَسْمَعُوا"[٧١]. وهل هناك ما هو أكثر سهولة للفهم، بحيث يمكن للمرء أن يُدركه؟ كان مكتوبًا أن اليهود لن يؤمنوا، وأن الأمميين سيُدعون، وهذا قد سبق وأُخبر به أيضًا، إسمع إشعياء النبي الذي يذكر ذلك قائلاً: " أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: هأَنَذَا، هأَنَذَا. لأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي. بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيق غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ"[٧٢]. وفي موضع آخر يقول: "نما كنبتة أمامه وكعرق في أرض قاحلة"[٧٣]، وفي آية أخرى يقول: " مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟"[٧٤]. لم يتكلم عن تعليمنا، فقد أراد أن يُبيِّن هنا، أنهم لم يتكلموا عن آرائهم الخاصة حتى في أبسط الأمور، بل كرزوا بكل ما سمعوه من الرب.

---

[٧١] إش: ٢٨: ١١-١٢.
[٧٢] إش٦٥: ١-٢.
[٧٣] إش٥٣: ٢ (س).
[٧٤] إش٥٣: ١.

ومن حيث أنه ينبغي علينا أن نُفضّل بالأكثر الأمور الخاصة بنا، على الغريبة عنَّا، وأن تصبح موضع تكريم وقيمة، فهذا ما أعلنه موسى النبي أيضًا قائلاً: " أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ"[٧٥]. ويعني بهذا بؤس وتعاسة الشعب سابقًا، بقوله: "بما ليس شعبًا". لأنهم لم يُعتبروا شعبًا أو أمة بسبب البؤس الكبير، والحماقة، والغباء. ولكن بسبب إيمانهم، حدث تغيّر كبير، ونالوا تقديرًا كبيرًا وكرامة، أكثر من ذوي الكرامة والإستقامة. هذا التوجه أيضًا يمس اليهود، وبسببه سيصيروا أفضل، وهذا قد وضح من كلام النبي. لأنه لم يقل فقط، سأكرم أكثر، لكنه يُعلن بالإضافة إلى ذلك، التحسن الذي كان يأمل أن يطرأ عليهم بسبب غيرتهم يقول: " أُغيرهم بما ليس شعبًا"، أي سأعطي الكثير للامم، حتى تَغيِروا وتغتاظوا، وهذا قد جعلهم بالحقيقة أفضل، لأن أولئك الذين رأوا البحر الأحمر وهو ينّشق، والصخور ينبع منها ماء، والتغيرات التي حدثت في الطبيعة،

---

[٧٥] تث٣٢: ٢١.

ومعجزات أخرى كثيرة، وهم الذين كانوا يُضحون باولادهم، وأقاموا الإحتفالات تكريمًا للبعل، وشاركوا في الكثير من أعمال السحر، هؤلاء إذ قد جذبناهم، وقبلوا ما نؤمن به، مُفضلين إياه عن ما كانوا يؤمنون به، تأثروا بشدة، بسبب الغيرة، حتى أنهم صاروا أفضل، وما لم يستطيعوا أن يُحققوه، وهم يسمعون الأنبياء، وينظرون أمور تتجاوز الطبيعة، فهذا قد حققوه، بسبب الغيرة منّا. إذًا الآن لا أحد من هؤلاء يذبح أبناءه، ولا يركض نحو الأوثان، ولا يسجد لأي عِجل[٧٦].

إن قيمة وأهمية العذراوية، ليست موجودة في العهد القديم، حتى كمجرد كلمة، ولكن لاحظ كيف يتنبأ داود النبي بها، أنها ستشرق ببهاء في العهد الجديد، إذ يقول: "فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ... يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ"[٧٧]. بل لم

---

[٧٦] يقصد العجل الذهبي الذي صنعه الشعب قديمًا، عندما تاخر موسى النبي من النزول من على جبل سيناء، حيث كان قد صعد إلى هناك لتلقي الوصايا العشر. وعندما نزل حرقه، وفتته، وبعدما ألقى برماده في الماء، سقى الشعب منه.

[٧٧] مز ٤٥: ١٤-١٥.

ينسى ولا حتى إسم هؤلاء المقدسين، وأعني الوكلاء: " وَأَجْعَلُ وُكَلاَءَكِ سَلاَمًا وَوُلاَتَكِ بِرًّا "[٧٨].

## يأتي ولا يصمت:

مكتوب أنه سينزل على الأرض، ويطلب حسابًا من جنس البشر، وليس فقط من الآخرين، بل ومن اليهود. وإنتبه كيف أن هذا أيضًا قد تنبأ به، كل من داود وملاخي. أولاً يقول النبي: " ويجلس كمن يمحص الفضة والذهب وينقيهما "[٧٩]. وهذه الكلمات تُشبه ما قاله الرسول بولس: " لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ "[٨٠]. وداود النبي أيضًا سبق فأخبر بالمجيء الثاني للرب، قائلاً: " يَأْتِي إِلهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ "[٨١]. لأن المجيء الأول كان للصفح والغفران، لكن المجيء الثاني لن يكون هكذا، بل سيكون مملوء رعدة، وخوف، بسبب حضور الملائكة الذين يسبقون مجيئة، وبسبب حضوره، الذي سيُغطي كل شيء مثل البرق. " كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ

---

[٧٨] إش٦٠:١٧.
[٧٩] ملا٣:٣ (س).
[٨٠] ١كو٣:١٣.
[٨١] مز٥٠:٣.

الإِنْسَانِ"[٨٢]. إنه يُظهر بهذا. ما هو واضح كل الوضوح، فقط هو يُعلن عنه. لأنه مجيئه الثاني، ليس بحاجة لأن يعلنوا عنه. فهو يُعلن عن ذاته. وهذا ما أوضحه داود النبي بقوله: " يَأْتِي إِلهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ" وبعد ذلك يصف قضاء الدهر الآتي، قائلاً: " نَارٌ قُدَّامَهُ تَأْكُلُ، وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِدًّا"[٨٣]. يذكر العقوبات، لكنه يذكر البهاء والمجد أيضًا "يَدْعُو السَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقُ، وَالأَرْضَ إِلَى مُدَايَنَةِ شَعْبِهِ"[٨٤]. وعندما يتحدث هنا عن الأرض، يقصد جنس البشر. بعد ذلك يشمل اليهود مع كل الأجناس الأخرى، لأنه بالتأكيد يُكلّم هؤلاء، فيضيف: "اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتْقِيَائِي، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ». وَتُخْبِرُ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، لأَنَّ اللّهَ هُوَ الدَّيَّانُ"[٨٥]. سيأتي ويُنحي تلك العبادة جانبًا، حيث كانوا يقدمون الذبائح، وسيستبعدها، لكي تصبح عبادتنا الآن مقبولة. إسمع كيف تنبأوا بذلك: " بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ ... هيأت لي جسدًا"[٨٦]. الأمر الذي قاله في موضع

---

[٨٢] مت٢٤:٢٧.
[٨٣] مز٥٠:٣.
[٨٤] مز٥٠:٤.
[٨٥] مز٥٠:٥.
[٨٦] مز٤٠:٦ (س).

آخر: " . شَعْبٌ لَمْ أَعْرِفْهُ يَتَعَبَّدُ لِي. مِنْ سَمَاعِ الأُذُنِ يَسْمَعُونَ"[٨٧] . بهذه الكلمات أراد أن يقول، إنهم لم يؤمنوا، لأنهم راوا البحر وهو ينشق إلى أثنين، ولا الصخور وهي ينساب منها الماء، بل آمنوا بعدما سمعوا رسل المسيح. وهنا أيضًا عندما يقول: "هيأت لي جسدًا"، يضيف قائلاً: " فقلت ها أنا آتٍ أما كتب عليَّ في طيِّ الكتاب"[٨٨].هنا هو يُريد أن يقول أمرين:

١ـ أنه آتٍ. ٢ـ وأن هذا سيتحقق، عندما تبطل الذبائح.

الأمر الذي حدث عندما خضع اليهود للرومان. ليس هذا فقط، بل إن باروخ تكلَّم عن مجيئه الثاني، قائلاً: " ثم تراءت على الأرض ومكثت بين البشر"[٨٩]. أيضًا قال موسى النبي: " أقيم لهم نبيًا من وسط أخواتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أَوصيه به ويكون الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به بإسمي يستأصل

---

[٨٧] مز١٨:٤٣ـ٤٤.
[٨٨] مز٤٠:٨ (س).
[٨٩] باروخ٣:٣٨.

من هذا الشعب"[٩٠]. أرأيت أن هذا لم يحدث لأي أحد، إلا للمسيح فقط؟ فمن المعروف أن كثيرًا من الأنبياء قد جاءوا، ولم يسمع الشعب لواحد منهم، ومع ذلك لم يُعانوا من أي شيء. إلا أنه منذ الوقت الذي رفضه فيه اليهود، تشتتوا في كل العالم، متشردين، مخدوعين، منفيين، ولاجئين. لاحظ إذًا أنهم بدلوا أوطانهم، وعاداتهم وتقاليدهم الموروثة، وقوانينهم، بالفسق، والخزي، والإدانة، والعقوبة. وكل ما إجتازوه من الآلام في عصر فاسباسينوس، وتيتوس[٩١]، لا يمكننا الحديث عنه، لأن المأساة كانت آنذاك قد تجاوزت الكوارث كافة، وهكذا تحققت النبوة القائلة: " الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بإسمي يستاصل من هذا الشعب". لذلك هلك أولئك الذين لم يسمعوا، لأنهم رفضوا أن يسمعوا لذلك النبي. ومن حيث أنه سيُقيمهم، فهذا ما أُخبر به إشعياء النبي قائلاً: "تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ... لأَنَّ طَلَّكَ طَلُّ أَعْشَابٍ"[٩٢].

---

[٩٠] تث١٨:١٨-١٩ (س).

[٩١] أباطرة رومان، وقد شنَّ كلاهما حروبًا مدمرة ضد اليهود. تيتوس هو إبن الإمبراطور فاسباسينوس، وقد وَلِدَ سنة ٤٠ بعد الميلاد ومات ٨١ بعد الميلاد.

[٩٢] إش٢٦:١٩.

## ويكون موته مجدًا:

ليس هذا فقط، بل بعد صلبه وموته، إنتشر تعليمه في كل مكان. فبعدما أوثقوه، وخانة تلميذه (يهوذا)، وبصقوا عليه، وإستهزوا به، وجلدوه، في النهاية صلبوه، حتى ثيابه قسَّمها الجنود فيما بينهم. وحكموا عليه بأنه مستوجب الموت، ظنًا منهم أنه يريد أن يقيم مملكة مَستبدة، كطاغية ومُستبد. " كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ!"[93]. وأيضً " قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ!"[94]. ولأنه كان يجب أن يحدث كل هذا، شجَّع السامع، وأعانه أن يتشدد ويتقوى. - هكذا يقول - لا تخف بسبب كل ذلك. فإن ذاك الذي جُلِدَ، وصُلِبَ، وسخر منه اللصان اللذان صُلبا معه، الذي حكموا عليه بموت مُخزي، قد تحولت الأمور بعد موته، وقيامته، تحولاً جذريًا، حتى أنه، لا يستطيع أحد أن يُنكر أنه قد نال كرامة عظيمة، وهذا ما حدث بالفعل. هذا تحديدًا ما تنبأ به النبي آنذاك، قائلاً : " وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ،

---

[93] يو ١٩:١٢.
[94] مت ٢٦:٦٥.

وَيَكُونُ مَحَلُّهُ (موته) مَجْدًا"[٩٥]. هذا النوع من الموت، هو أكثر قيمة وكرامة من التاج الملوكي. لأن الملوك وهم يخلعون التاج، يأخذون الصليب، الذي هورمز وإشارة لموت المسيح. والصليب مطبوع على الثوب الأرجواني، وعلى التاج، الصليب قائم في الصلوات، وفوق المائدة المقدسة، وفي كل المسكونة يشرق الصليب أكثر من إشراق نور الشمس، "ويكون موته مجدًا".

## اللعنة صارت كرامة:

إن الأمور الإنسانية ليست على هذا النحو، بل عادةً ما تكون العكس. فعندما يكون الناجحون على قيد الحياة، يكون كل شيء حولهم في حالة إزدهار، لكن عندما يموتوا، يتحطم كل شيء. وهذا لا ينطبق على الغني، والقائد فقط، بل يمكن للمرء أن يلاحظه على الملوك أنفسهم. لأن قوانينهم تَبطل، وصورهم تُنزَع، وذكراهم تُمحىَ، وأسماءهم تُنسىَ، وخاصتهم تُحتَقر. الذين رفعوا الأسلحة قبلاً كانوا قادرين بإشارة واحدة فقط، على تغيير

---

[٩٥] إش١١: ١٠.

شعوب، ومدن، وسياسات، الذين قضوا على رؤساء، كانوا قادرين على أن يَنقذوا المحكوم عليهم بالموت. ولكن كل هذا قد أنتهى إلى زوال، وإن كان قبلاً، يُسبّب بهجة وسعادة للبعض. ولكن مع المسيح، صارت الأمور عكس ذلك تمامًا، بمعنى أنه قبل الصلب كان كل شيء مُحزنًا ومؤلمًا، يهوذا خانه، بطرس أنكره، ولاحقوا الباقين، كان وحده بين الأعداء، وكثيرون من الذين آمنوا، أنكروه. إلا أنه بعدما مات، كل الأمور تحولت إلى بهاء ومجد ومسرة، وصارت لها أهمية عظيمة، لكي تعلم أن المصلوب لم يكن إنسانًا عاديًا. ومن كان الأول بين الرسل (ق.بطرس)، لم يحتمل تهديد الذين كانوا في دار رئيس الكهنة، بل وبعد هذا الإستجواب، قال إني لا اعرفه. أما بعد الصلب فقد جاب أرجاء المسكونة، ومن ذلك الوقت إستُشهِد عدد لا حصر له من الشهداء، مُفضلين الموت، على أن ينطقوا الكلمات التي قالها هامة الرسل (ق. بطرس)، الذي خاف من تهديد البوابة التي كانت تقف عند باب دار رئيس الكهنة. ومن ذلك الوقت، إعترفت بالمصلوب كل البلدان والمدن، والصحراء والمناطق الآهلة

بالسكان، وغير الآهلة. الجميع قد إعترف بالمصلوب. بل وملوك، وقادة جيوش، ورؤساء ونبلاء وولاه[96]، عبيد، وأحرار، ومواطنون بسطاء، وحكماء، وبربر، وأمم مختلفة من البشر، الكل قد إعترف بالمصلوب وآمنوا به. وبقدر ما تُغطي الشمس كل الأرض، بقدر ما إمتد إسمه، وعبادته في كل الأرض، حتى تعلم ماذا يعني النبي بقوله: "ويكون موته مجدًا". والأمر المثير للإعجاب، أن ما حدث لم يحدث له وحده، بل لتلاميذه أيضًا، لأن أولئك المتعبين، المتألمين، المحتَقرين، المسجونين، الذين عانوا من شرور لا حصر لها، من ذلك الوقت الذي إنتقلوا فيه، إعتبُروا أكثر كرامة ومكانة، من الملوك. وكيف حدث ذلك؟ إسمع الآن ما هو آتٍ: كان الجميع في مدينة روما المشرقة البهية، سواء ملوك، أم ولاة، أم قادة جيوش، يركضون نحو قبر صياد السمك (ق. بطرس)، وصانع الخيام (ق. بولس) غير مُبالين بأي أمور أخرى. وفي القسطنطنية أيضًا إعتبر الملوك بأن دفن أجسادهم، حتى في الجزء

---

[96] الرؤساء والولاة، هم أعلى الرتب في روما القديمة في الحقبة الديمقراطية، من عام ٢٩-٥٠٩ قبل الميلاد، ومدة حكمهم كانت سنة واحدة، وكانوا يقتسموا السلطة فيما بينهم.

الخارجي لمقابر الرسل، وليس إلى جوارهم، هو تكريمًا لهم، ومن ذلك الوقت صار الملوك بمثابة بوابين للرسل صيادي السمك، ولم يخجلوا من هذا، بل إفتخروا بهذا الأمر. وليس فقط هؤلاء الملوك، بل وخلفاءهم أيضًا، "ويكون موته مجدًا". وعندئذ ستُدرك كم هي عظيمة هذه الكرامة، عندما تفهم ما يشير إليه موت المسيح، الذي كان لعنة، الموت الأكثر خزيًا من كل الميتات، لأن هذا النوع من الموت، هو الذي كان يمثل لعنة. كمثال أذكر لكم الآتي: كان بعض الأشرار في العصور القديمة يُحرَقون، والبعض يُرجَمون، والبعض الآخر أنهوا حياتهم بطرق آخرى للموت، لكن كل من صُلب مُعلقًا على خشبة، ليس فقط قد إحتمل هذا الأمر المفزع، أي الحكم بتلك العقوبة، بل كان ملعونًا. لأنه مكتوب " الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللّٰهِ"[٩٧]. بيد أن هذا الذي دُعي مُلعونًا، تلك اللعنة التي تعتبر أسوأ عقوبة، الأن قد صار محبوبًا. لأنه بالتأكيد، حتى التاج الملوكي لا يمكن أن يُزيّن الرأس، مثل الصليب،

[٩٧] تث ٢١:٢٣.

والذي هو أكثر قيمة وتتويجًا من آية زينة أخرى. وشكل الصليب الذي كان يمثل رعبًا للجميع، أصبح الآن يلقى كل إحترام وحب من الجميع، حتى أنه يوجد في كل مكان، لدى عذارى ومتزوجين، لدى عبيد وأحرار. ويرسمه كثيرون على الأعضاء الأساسية للجسد، فيرسمونه على جباههم، وعلى أيديهم. إن الصليب الذي يُشرق ببهاء فوق المائدة المقدسة، يُرافق أيضًا رسامات الكهنة، وهو أيضًا مع جسد المسيح في العشاء السري. ويستطيع المرء أن يرى الصليب وهو يطوف في كل مكان، في البيوت، وفي الأسواق، وفي البراري، وفي الطرق، وفي الجبال، في المنخفضات، وفي المرتفعات، في البحر، وفي السفن، وفي الجزر، وفي المخادع، وعلى الأسلحة، وعلى الموائد، على الأواني الفضية والذهبية، وعلى الحوائط المزخرفة بالرسومات، وعلى أجساد الذين يتألمون نفسيًا، وعلى أجساد المعذبين بأرواح شريرة، وموجود في الحرب، وفي السِلم، في النهار والليل، في أعمال وتصرفات المسرفين، وفي سلوك المتقشفين. هذه العطية العجيبة، والهبة التي لا تُوصف، صارت موضع رغبة

شديدة للغاية. ألا يخجل الإنسان عندما يُفكر بأن هذا الموت، هو رمز للموت المهين، بينما ما نراه هو العكس، فالجميع يتزينون بالصليب، أكثر من التيجان، ومن ملابس مُزينة بقطع كثيرة من الماس. هكذا فإنه ليس فقط لا نستطيع أن نتجنبه، بل إنه صار محبوبًا، ومرغوبًا فيه، ومشرقًا ببهاء في كل مكان، وهو موجود على حوائط البيوت، وأسقُفها، وفي الكتب، وفي المدن، وفي القرى، وفي الأماكن الآهلة بالسكان، وغير الآهلة.

وبكل سرور أسال كل وثني، لماذا يصبح رمز هذه العقوبة، المرتب بهذا الموت المهين، محبوبًا ومرغوبًا فيه من الجميع، إن لم تكن قوة المصلوب عظيمة؟ وإن كنت بعد تعتقد أن هذا الأمر لا يحمل أي قيمة، دون أن تخجل، ولا ترى الحقيقة، وتصير أعمى أمام الحقائق الواضحة كالنور، فعندئذ نثبت لك، مدى قيمة الصليب بطريقة أخرى، كم هي عظيمة هذه القيمة. ما هي هذه الطريقة؟ في الأحكام الصادرة ضد جناة، والتي يلجأون فيها إلى وسائل تعذيب كثيرة، جلد، تقليع أظافر، صب

رصاص، نزع الجلد، تكسير عظام. إذًا مَن من هؤلاء المعذبين سيرغب في أن يحضر أو ينقل إلى بيته شيئًا من أدوات التعذيب هذه؟ ومَن سيقبل أن يلمس بيده الجلادين الذين إستخدموا هذه الأدوات، أو ان يذهب إلى مكان قريب لرؤية موضع التعذيب؟ ألا ينصرف عنهم أكثر الناس، والبعض يعتبر إن هذه الأدوات، لا تستحق ولا حتى اللمس، ولا يحتملون مجرد رؤيتها؟ ألا يرحلون بعيدًا عنها؟ ألا يُبعِدون عيونهم عنها؟ شيء مثل هذا، كان الصليب في عصور قديمة، بل ولاقى رفضًا وإمتعاضًا كبيرًا، لأنه كما قلت قبلاً، لم يكن فقط رمزًا للموت، بل رمز لموت مُهين. اخبرني إذًا، لماذا الآن قد صار مرغوبًا فيه من الجميع بشكل فائق، والجميع يسعى نحوه؟ هذه الخشبة (خشبة الصليب) التي رُفِعت لإستقبال جسد المسيح الذي صُلب عليها، لماذا صارت محبوبة من الجميع؟ وكثيرون قد أخذوا منه، قطعة صغيرة، وربطوه بذهب، وعلقوه في رقابهم ليتزينوا به، سواء رجال، أم نساء، على الرغم من أن الخشبة كانت رمزًا للإدانة والعقوبة. لكن هذا الذي خلق كل شيء، والذي خلّص

المسكونة من كل هذه الشرور، قد صيّر الأرض سماءًا، وهذا الصليب بينما كان مُحتقرًا وأسوأ كل أنواع الميتات، قد سمى به، أعلى من السموات. كل هذا قد سبق وأخبر به النبي، قائلاً: " ويكون موته مجدًا".

لن أتوقف عن الكلام، بالنسبة لرمز هذا الموت (الصليب)، لقد صار إساسًا عظيمًا للبركة، وسور أمان من كل خطر، ولجامًا للشياطين، وتحجيم لقوة الأعداء. الصليب أبطل الموت، وسحق أبواب الجحيم النحاسية، وكسر المصاريع الحديدية. وأبطل قوة الخطية، وخلّص المحكوم عليهم بموت الخطية. ماذا أقول؟ ما لم يستطع البحر الذي إنشق إلى قسمين أن يُحقّقه، والصخور التي نبع منها ماء، والطبيعة التي تغيرت، والمن الذي كان يُطعم آلاف من البشر على مدى أربعين سنة كاملة، والناموس الموسوي، وكل المعجزات التي حدثت في الصحراء، وفي فلسطين، هذا كله قد حقّقه الصليب، وليس فقط في أمه واحدة، بل في أرجاء المسكونة. إن الصليب الذي كان رمزًا للعنة، والذي كان يبتعد

عنه الجميع، المكروه من الكل، موضع الخزي والعار، إستطاع بعد موت المصلوب، أن يُحقّق كل شيء بسهولة. ليس فقط تلك المعجزات التي حدثت آنذاك، بل كل ما حدث بعد ذلك، قد أظهر مدى قوته. لأن العالم الذي كان محرومًا من الفضيلة، والذي كان أسوأ من الأرض الجدباء، والذي لم يُنتظر منه أبدًا أن يُنجب شيئًا حسنًا، قد تجلّى بالصليب وإنتقل إلى فردوس لا نهاية له، وإلى أم كثيرة الأبناء. هذا قد سبق وأخبر به النبي، قائلا: " تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ"[٩٨]. ومن حيث أن الله قد أحسن إلى شعب وأعطاهم عهدًا جديدًا أفضل كثيرًا من العهد السابق، فهذا أيضًا قد أشار إليه الأنبياء، ولم يصمتوا عنه، يقول النبي: " وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ...عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ

---

[٩٨] إش٥٤:١.

هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ"[99]. بعد ذلك يُعلن عن التغيير الكبير، والتعليم السهل، فيقول: "وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ"[100]. بل إن النبي قد تنبأ بأنه سيصفح عن آثامهم، قائلاً: " لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ". وهل هناك ما هو أكثر وضوحًا من ذلك؟ فدعوة الشعوب، وسمو العهد الجديد، مُقارنة بالقديم، وسهولة وقبول جموع من البشر للإيمان، ومجد النعمة الإلهية الذي نُلناه بالمعمودية، كل هذا قد أوضحته النبوات.

## أُعطيَّ سلطانًا ومجدًا:

وذاك الذي حقّق كل هذا، سيكون هو الديان بعد ذلك، ولاحظ كيف تنبأ الأنبياء بذلك، فحتى هذا الأمر لم يغفلوا عنه، البعض رأوه بهذا الشكل الذي سيظهر به، والبعض الأخر، أخبروا عن مجيئه

---

[99] إر ٣١:٣١-٣٣.
[100] إر ٣١:٣٤.

بكلماته. فدانيال النبي بالرغم من وجوده وسط البابليين البربر، فقد رأى الرب نازلاً على سحابة، إسمع ماذا يقول " كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ"[١٠١]. ويصف يوم الدينونة قائلاً: " كنت أرى نُصب وعروش فجلس شيخ طاعن في السن.. وعرشه لهيب نار وتخدمه ألوف ألوف وتقف بين يديه ربوات ربوات فجلس أهل القضاء وفُتحت الأسفار"[١٠٢]. وليس هذا فقط، بل أوضح الكرامة التي سينالها الأبرار، قائلاً: " أَمَّا قِدِّيسُو الْعَلِيِّ فَيَأْخُذُونَ الْمَمْلَكَةَ وَيَمْتَلِكُونَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى الأَبَدِ" وأيضًا "وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ... تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ"[١٠٣]. ويتنبأ ملاخي النبي بأن قضاءه سيكون من نار، قائلاً: " لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ، وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ"[١٠٤]. أرايت كيف تنبأ الأنبياء بكل ما

---

[١٠١] دا ٧:١٣-١٤.
[١٠٢] دا٧:٩-١٠ (س).
[١٠٣] دا٧:١٨، ٢٧.
[١٠٤] ملا٣:٢.

سيحدث، وبمنتهى الدقة؟ كيف تتجرأ إذًا، أن تبقى في عدم إيمانك، ودون أن تتحقق من كل شيء، بعد أن صار في متناول يدك كل هذه البراهين التي تثبت قوته، ونبوات قد قيلت منذ زمن بعيد، مادمت ترى أن الأحداث كلها، تتطابق مع النبوات. ومن حيث أن كل هذا ليس من وحي خيالنا، فهذا يشهد عليه أولئك الذين قبلوا هذه الأسفار المقدّسة، ويحفظونها حتى الآن، بالرغم من أنهم أعداؤنا، وخلفاء صالبي المسيح. وقد يتساءل البعض وكيف لم يؤمنوا، على الرغم من أن هذه الكتب المقدسة بين أيديهم؟ بمنتهى البساطة، لأنه بالرغم من رؤيتهم للمعجزات التي صنعها المسيح، إلا أنهم لم يؤمنوا. لكن هذه ليست خطية غير المؤمن، بل خطية الذين لا يروا في وضح النهار. إن هذا العالم، مثل الآله الموسيقية المتجانسة التي وُضِعت في المنتصف، وتنساب منها الألحان، وتمجد الخالق. وبالرغم من كل ذلك، هناك بعض الناس، يقولون إن كل ما في الخليقة قد صار من تلقاء نفسه أو بالصدفة، والبعض الآخر يقول إن كل ما نراه، هو بلا بداية، وآخرون ينسبون الخلق والعناية بالخليقة إلى آلهة كثيرة، وآخرون

ينسبون الخلق إلى قوة خالقه وإلى حركة دوران النجوم. وبالتأكيد هذا ليس خطأ الخالق، لأن النقد واللوم يُوجه إلى أولئك الذين يُعانون من أسوأ أنواع العلل، بينما كل هذه الأدوية، هي في متناول الجميع. مثل النفس، عندما تشعر بالسعادة، تفهم ما ينبغي فعله، دون أن تحتاج إلى مساعدة كبيرة، هكذا عندما تكون جاحدة. وبلا إحساس، فحتى وإن كان لديها قادة كثيرين، خاصةً وإن كانت أسيرة لشهواتها، ستبقى في عماها. وإنتبه أن هذا الأمر يحدث في كل مكان، وليس فقط في هذه الحالة، بل وفي حالات أخرى. كم من الناس الذين لا يخضعون للنواميس يمكن أن يفتخروا، كيف عاشوا حياة مكرَّمة بالكامل. ولكن البعض أيضًا وإن كانوا قد عاشوا بهذه النواميس منذ حداثتهم، وحتى سن الشيخوخة، لم يتوقفوا عن مخالفتها. نفس الأمور قد حدثت آنذاك، بمعنى أن اليهود بالرغم من أنهم قد رأوا آيات وعجائب كثيرة، إلا أنهم لم يصيروا أفضل. على العكس من ذلك، فإن أهل نينوى بسماعهم لنداء واحد فقط، تغيرِّوا، وتخلّصوا من الخطية. ويمكن التأكد من ذلك، من

خلال رجال ليس فقط ذو شأن، بل ورجال بسطاء لا شأن لهم أيضًا. كم من التعليم سمع يهوذا من معلّمه، ومع ذلك صار خائنًا! وأي نصيحة سمع اللص على الصليب، ومع هذا آمن بالرب وهو على الصليب، ومجّد ملكوته. ينبغي ألا تحكم على كل شيء، بناء على آراء الفاسدين، بل أن تحكم أو تُميز أولئك الذين يُفكرون بالصواب أو بشكل صحيح، مستندين إلى الحقيقة. إن اليهود لم يؤمنوا، وآمن الوثنيون. ولم يصمت الأنبياء، فقد صرخ داود، قائلاً: " شعب لم أعرفه يتعبد لي الغرباء يتذللون لي ... ويخرجون من حصونهم مرتعدين"[105]. أيضًا يقول إشعياء النبي: " مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟"[106]. وفي موضع آخر يقول: " أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي"[107]. وعندما تجسد المسيح على الأرض، آمنت به إمرأة كنعانية، وأخرى سامرية، بينما الكهنة وقادة الشعب، حاربوه وتآمروا عليه، ومنعوا الاخرين أن يؤمنوا، والذين آمنوا، طردوهم من المجمع. لا تتعجب من هذه الأمور

---

[105] مز١٨: ٤٤-٤٦ (س).
[106] إش٥٣: ١.
[107] إش٦٥: ١.

أبدًا، لأن حياتنا مليئة بهذه النماذج، سواء في عصرنا هذا، أو في الأزمنة القديمة. بعد ذلك، إن لم يكن الجميع، فعلى الأقل الكثيرون من اليهود آنذاك، والآن قد آمنوا. بالطبع ليست هذه هي أول مرة يُسمع فيها هذا الكلام، وليس أمر غريب أن الجميع لم يؤمنوا. لأن هذا هو الجحود بعينه، هذا هو الفكر الغير المعقول والمخالف للصواب، هذه هي النفس الإنسانية التي أُسِرت بالشهوات.

## أبواب الجحيم لن تقوى عليها:

وبعدما ذكرنا جميع النبوات التي نطق بها الأنبياء عن المسيح، والتي أخبروا بها منذ سنوات بعيدة، لنتقدم نحو تلك النبوات التي تحققت في المستقبل، عندما جال المسيح يصنع خيرًا، وعاشر البشر، حتى تُدرك من خلال هذا الجانب، مدى قوته. لأنه نزل على الأرض، وتألم من أجل خلاص كل البشر وغفران خطاياهم. ولاحظ ماذا يفعل: يُجري معجزات، ويُخبر ببعض الأمور التي ستحدث بعد سنوات، مُبيّنا لسامعية في ذلك الوقت، من خلال كل ما تم، أن كل ما سيحدث بعد وقت

طويل، سيتحقق. وأيضًا أثبَّت لهم صحة كل ما تنبأ به، وكيف سيتم هذا، من خلال تحقيق ما تنبأ به، ومن خلال معجزاته التي أجراها في ذلك الوقت. وهكذا فإنه بهذا الدليل المزدوج، ربح إيمانهم بملكوت السموات.

لأن النبوات الخاصة به، كانت مزدوجة، بمعنى أن بعض النبوات ستتحقق في هذه الحياة، والبعض الآخر سيتحقق بعد نهاية هذا العالم الحاضر، وكل نبوة تدعم الأخرى، وتساعدها على التأكيد بأنها ستتحقق فعلاً، أي أنها حقيقة. سأذكر لكم مثلاً، لأن عبارتي غير مفهومة، ولذلك سأحاول أن أجعلها سهلة الفهم. لقد تبع المسيح أثنى عشر تلميذًا، أما بالنسبة للكنيسة، فليس فقط لم يفكر أحد في وجودها، بل ولا في إسمها، لأن المجمع آنذاك كان في حالة إزدهار. ولكن ماذا قال المسيح، وما الذي تنبأ عنه وأخبر به، في الوقت الذي كانت فيه المسكونة جمعاء تقريبًا، غارقة في الكفر والجحود؟ قال: " عَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي،

وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا"[108]. إفحص جيدًا هذا القول كما تُريد، وسترى أن حقيقته ستكون مشرقة. لأنه من المؤكد أن ما يستحق الإعجاب، ليس فقط أنه أسسها في كل المسكونة، بل أنه جعلها غالبة ومنتصرة، ولا يمكن أن تُقهر، رغم كل الضربات التي وجهها إليها مقاوموها. وعبارة: " أبواب الجحيم لن تقوى عليها"، تعني الأخطار التي تقود إلى الجحيم. أرايت كم هي حقيقية، هذه النبوة؟ أَرايت النتيجة الحقيقية؟ هل رأيت كلمات مثل هذه تتحول إلى أعمال، وقوة لا تُقهر وتُحقق كل شيء، دون صعوبات؟ إذًا لا تعبر على هذه العبارة دون توقف: " أبني كنيستي"، لأنها بُنيت سريعًا في وقت وجيز، فلتُجهد ذهنك، ولتشعر بمدى أهمية ذلك، أن الأرض الواسعة الشاسعة، الممتدة تحت الشمس، قد إمتلأت بالكنائس في فترة زمنية وجيزة للغاية، وأمم كثيرة آمنت بالمسيح، وقد غيَّر هو رؤى وأفكار شعوب بأكملها، وأبطل العادات القديمة، إقتلع عادات وتقاليد من جذورها، أوقف

---

[108] مت١٦:١٨.

طغيان المتع والشهوات، قضى على قوة الشر، ألغى مذابح وهياكل، وأوثانًا، وممارسات، وإحتفالات وثنية، والأبخرة الكريهة، بدَّدها، وأقام المائدة المقدسة في كل مكان، في موطن الرومان، والفرس، والسكيثيين، والهند. ماذا أقول؟ فالأمر يتعدى المناطق الخاصة بنا، لأن أهل الجزر البريطانية، بالرغم من أنها خارج حدود البحر المتوسط، إذ هي في المحيط، شعروا بقوة الكلمات الإلهية، لأن هناك بالطبع، تأسست كنائس وموائد مقدسة. تلك الكلمات التي تكلَّم بها آنذاك، قد نمت في نفوس الجميع، وتتردد على السنة الكل. ولنقل إن كل الأرض قد تنّقت من أشواك الخطية التي كانت تملأها، وصارت حقلاً نقيًا، وإستقبلت بذور التقوى. ومن حيث أن لا أحد إعترض، وأن السلام قد عمَّ، فهذا أمر له أهمية، ويُوضح مدى إستعلان القوة الإلهية. وهكذا إستطاع أن يُخلّص كل المسكونة من العادات الشريرة التي سادت على الجميع سنوات طويلة، وأن يقودها إلى عادات آخرى. ولم يُحارب العادات القديمة فقط، بل وضبط الشهوات والمتع، وكلاهما (العادات القديمة

والشهوات، تسيطر وتسود على أصحابها). لأن ما ورثه البشر منذ سنوات طويلة من آبائهم، وأجدادهم، والأجداد البعيدين، والفلاسفة، والخطباء، كل هذا الميراث، إقتنعوا أن يتركوه، على الرغم من أنه كان أمرًا غاية في الصعوبة أن يقبلوا عادة أو تقليدًا جديدًا، بل وتقليدًا له متطلبات صعبة، الأمر الذي يُعَد أكثر ثقلاً عليهم. إذًا فقد أبعد الشهوات والمتع، وقادنا إلى الصوم، أزال شهوة المال، وسما بالفقر، محى القبح والبذاءة، وحمل لنا الحكمة والهدوء، أوقف الغضب، وحلت الوداعة محله، وإنتزع الحقد والحسد من النفوس، وحمل لنا النية الحسنة الطيبة، أبعدنا عن الطريق الواسع الرحب، وقادنا إلى الطريق الضيق والصعب. ولم يقد أناسًا آخرين، عاشوا خارج هذا العالم، وبعيدًا عن هذه العادات، بل قاد أولئك الذين فسدوا داخل كل هذه العادات والشهوات، الذين صاروا أكثر ليونة من الشمع، هؤلاء أمرهم أن يسلكوا الطريق الضيق المؤلم والصعب، وجعلهم مؤمنين. وكم عدد الذين أقنعهم أن يؤمنوا؟ ليس أثنين أو عشرة أو عشرين، أو مائة، بل الجميع تقريبًا، كل الذين سكنوا تحت

الشمس. وما نوعية البشر وعددهم الذين أرسلهم، حتى يقتنعوا بواسطتهم؟ إحدى عشر تلميذًا فقط، عديمي المعرفة، عاميين، لا مكانة لهم، فقراء، بلا وطن، بلا ثروة، بلا قوة جسدية ومجد ظاهر، بلا أصول نبيلة، ليست لديهم قوة الكلمة، ولا إمكانيات خطابية، ولا معارف متميزة، بل صيادي سمك، وصانعي خيام، ويتكلمون لغة مختلفة. وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يكونوا يتكلموا مع أولئك الذين كرزوا لهم، بلغتهم العبرية والتي كانت لغة غريبة، ومختلفة عن كل اللغات الآخرى، وقد أسس الكنيسة التي إمتدت من أطراف المسكونة إلى أطرافها الآخرى، بواسطة هؤلاء الناس.

وليس هذا فقط هو المثير للإعجاب، بل إن هؤلاء الناس البسطاء، الفقراء، الذين ليسوا ذي شأن، الجهلاء، والمزدري بهم، المتكلمون بلغة غريبة، المَحتقرين، قد تعهدوا بتغيير المسكونة كافةً، وأخذوا وصية أن يقودوا الناس إلى أمور صعبة، إلا أنهم لم يحققوا كل هذا في مناخ مملوء بالسلام، بل إنهم واجهوا حروبًا كثيرة قد شُنّت ضدهم، فقد

ذهبوا إلى كل دولة وكل مدينة. لكن ماذا أقول؟ وهل ذهبوا فقط إلى كل دولة، ومدينة؟ لقد شُنّت حرب ضدهم في كل بيت، إلا أن تعليمهم إمتد، وكثيرًا ما حدث أن إنفصل الإبن عن أبيه، والعروس عن حماتها، والأخ عن أخيه، والخادم عن سيده، والمواطن عن الرئيس، والزوج عن زوجته، والزوجة عن زوجها، والأب عن إبنه، لأن الجميع لم يؤمنوا معًا، وهذا قد أفرز مشاحنات يومية، وحروبًا مستمرة، أسفر عن وقوع كثير من القتلى، وهذا ما جعل الرسل موضع بغضة، كأعداء وخصوم حقيقين، والجميع قد طاردوهم ولاحقوهم، سواء كانوا ملوكًا أم رؤساء، أم موطنين، أم أحرارًا، أم عبيدًا، أم شعوبًا ومدنًا. والأسوأ من كل هذا، أنهم لم يلاحقون هؤلاء فقط، بل أيضًا المسيحيين المعمدين الجدد، الذين علّموهم الرسل مبادىء الإيمان المسيحي. والحرب كانت واحدة، فهي ذاتها ضد التلاميذ، وضد المعلمين، لأن الكرازة إعتبِرت مضادة للأوامر الملكية، وللعادات، والتقاليد، والأعراف القديمة. لأن الرسل نصحوهم أن يتركوا عبادة الأوثان، وأن يحتقروا المذابح التي كان آباؤهم

وأجدادهم يتعبدون عليها، وأن يهجروا التعاليم البغيضة، ويسخروا من إحتفالاتهم، وأن يتحولوا عن ممارساتهم، الأمر الذي بدى لهم مفزعًا للغاية، وأكثر رعبًا من أي شيء آخر، وأنهم سيُسخِّرون نفوسهم لأجلهم، أكثر منه قبول لكرازة الرسل، وأن يؤمنوا بإبن الله، ذاك الذي سُلِّم للمحاكمة، الذي بُصِقَ عليه، وعانى آلامًا غير محدودة، الذي إحتمل موتًا مهينًا، الذي قُبِرَ وقام. والعجيب أن كل ما له علاقة بآلامه، كان معروفًا للجميع، أي الجلد، اللطم، الإهانات والشتائم، البصق على الوجه، الصليب، السخرية، القبر الذي أُعطيَ له كتقدمة. إلا أن كل ما له علاقة بالقيامة، لم يكن معروفًا على الإطلاق، لأنه عندما قام، ظهر للرسل فقط. لكنهم عندما كانوا يبشرون بالقيامة فقط، صاروا موضع تصديق، وهكذا أسسوا الكنيسة. كيف وبأي طريقة؟ بقوة ذاك الذي سبق وحدَّد كل هذه الأمور. لأن المسيح له المجد هو الذي أعدَّ الطريق، وجعل الصعب سهلاً. بالطبع إن لم يكن هناك قوة إلهية قد رافقت الرسل في الكرازة، والتي حققت كل هذه النجاح، ما كان لهم أن يتحركوا،

ولا كانت هناك بداية. وكيف تحقق كل هذا؟ ببساطة، إن الذي خلق السماء والأرض، والذي قال ليكن نور فكان نورًا، والذي خلق كل شيء بكلمته، هو الذي زرع كل هذه الكنائس (أي أسسها). وعبارة " أبني كنيسي"، تعني أن الكنيسة هي التي ستُحقق كل شيء، هكذا هي كلمات الله، تُنجِز أعمالاً تستحق الإعجاب والدهشة. كذلك فإنه عندما قال: " لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا"[١٠٩]، على الفور أصبح كل شيء، فردوسًا، ومرعي أخضر، والأرض التي تلقّت الأمر، تزيّنت بنباتات لا حصر لها، هكذا الآن يقول المسيح له المجد " أبني كنيسي"، وقد تحقّق هذا على الفور. بالرغم من أنه قد تسلّح ضدها ملوك، ووجّه جنودًا أسلحتهم نحوها، وثار ضدها شعوب أكثر جنونًا من إنتشار النار المحرقة، وقاوموها خطباء، وحكماء، وأغنياء، ومواطنون بسطاء، ورؤساء، الجميع قاموا عليها. لكن كلمة الكرازة قد وصلت وحرقت الأشواك (أشواك الخطية والخداع)، بأكثر إندفاعًا

---

[١٠٩] تك١:١١.

من إندفاع النار، إذ تنقَّت الحقول، وبُذرت كلمات التعليم. وبينما ظل بعض المؤمنين في السجن، والبعض طردوا منفيين، والبعض الآخر فقدوا ثرواتهم، والبعض قُتل وذُبح، والبعض الآخر أُلقيَ بهم في النار، والبعض غرق في البحر، والبعض قد ناله كل أنواع الآلام، وأهينوا، وطردوا البعض الآخر كأعداء حقيقيين، إلا أنه قد إنضم إلى الكنيسة الكثيرون، وليس فقط لم يتراجعوا عن شهادتهم للمسيح، بل بكل رغبة داخلية، إنطلقوا لينقضّوا على هذا الصيد الثمين. بهذه الطريقة. إصطادوا، ليس بالإجبار، ولا بالقهر، بل بإرادتهم، مُمتنين لأولئك الذين قادوهم إلى هذا الطريق. ناظرين إلى أنهار الدم التي جرت من أولئك الذين آمنوا، فقد صاروا أكثر تمسكًا بإيمانهم، بل وأكثر من الشجعان الجسورين. وليس فقط أكثر من التلاميذ، بل وأكثر من المعلمين. فالبعض منهم سُجن، والبعض الآخر نُفيَ، والبعض جُلِدَ، والبعض الآخر عانى آلامًا لا حصر لها، وبالأكثر المتتلمذين الذين صارت لهم مكانة وأهمية. يقول الرسول بولس: " وَأَكْثَرُ الإِخْوَةِ، وَهُمْ وَاثِقُونَ فِي الرَّبِّ

بِوُثُقِي، يَجْتَرِئُونَ أَكْثَرَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ بِلاَ خَوْفٍ"[110]. وفي موضع آخر يقول: " فَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ اللّهِ الَّتِي هِيَ فِي الْيَهُودِيَّةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لأَنَّكُمْ تَأَلَّمْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا مِنْ أَهْلِ عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الآلاَمَ عَيْنَهَا، كَمَا هُمْ أَيْضًا مِنَ الْيَهُودِ، الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ لِلّهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ. يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا"[111]. وقد كتب لآخرين أيضًا، قائلاً: "وَلكِنْ تَذَكَّرُوا الأَيَّامَ السَّالِفَةَ الَّتِي فِيهَا بَعْدَمَا أُنِرْتُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلاَمٍ كَثِيرَةٍ... عَالِمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَالاً أَفْضَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَبَاقِيًا"[112]. أرايت هذه القوة العجيبة التي لذاك الذي حقّق كل هذا؟ وليس فقط لم يغضبوا أو يتضايقوا، وليس فقط لم يحزنوا، وقد إجتازوا كل هذا الألم، بل إنهم فرحوا وإبتهجوا للغاية. هذا ما قاله الرسول بولس بالإشارة إلى هذ الوضع، أنهم قَبلوا سلب أموالهم بفرح. وبالنسبة للمعلمين (الرسل)، يقول

---

[110] في١:١٤.
[111] ١تس٢:١٤-١٦.
[112] عب١٠:٣٢-٣٤.

القديس لوقا في سفر أعمال الرسل، أنهم خرجوا فرحين، لأنهما حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه. ايضًا يقول الرسول بولس عن نفسه: " الآنَ أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ". لماذا تتحير إذًا، إن كان قد فرح في آلامه، وعندما كان ينسكب، ومستعدًا للحظة الموت، ليس فقط قد فرح، بل أيضًا قد دعى تلاميذه أن يشاركوه هذا الفرح، الأمر الذي يُظهر نفس فَرِحه للغاية، وهكذا تكلّم، قائلاً: " وَإِنْ كُنْتُ أَنْسَكِبُ... أُسَرُّ وَأَفْرَحُ مَعَكُمْ أَجْمَعِينَ"[١١٣]. أخبرني. ماذا حدث، حتى تمتليء بكل هذا الفرح؟ يقول: "أَنَا الآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ انْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ"[١١٤].

هكذا هؤلاء الرسل، قد بنوا الكنيسة في المسكونة كلها، بينما لا يقدر أحد أن يبني ولا حتى حائطًا واحد فقط، مُستخدمًا طوبًا وأسمنتًا للبناء، إن كان مُطاردًا وممنوعًا من البناء. أما الرسل فقد بنوا كنائس كثيرة جدًا في أرجاء

---

[١١٣] في٢: ١٧ـ١٨.
[١١٤] ٢تيمو٤: ٦.

المسكونة، بالرغم من أنهم قُتلوا، وسجنوا، وإضهدوا وتم نفيهم. وجلدوا، وفقدوا ثرواتهم، وذُبِحوا، وحُرِقوا، وطَرِحوا في البحر مع تلاميذهم. وقد بنوا هذه الكنائس ليس بحجارة، لكن بأنفس، وتعاليم، الأمر الذي يُعَد أكثر صعوبة، من البناء بالأحجار. لأن بناء جدار بالأحجار لا يتساوى مع النجاح في تغيير نفس كانت أسيرة للشياطين طول هذه السنين، وأن تنتزعها من ذلك الجنون الذي كانت تحيا فيه، ثم تُعيدها مرة أخرى إلى حالة الهدوء والسكينة والتعقل. إلا أن الرسل تمكنوا من تحقيق كل ذلك، وجابوا المسكونة عراة، حفاة، بملابس مُمزقة. لأن تلك القوة التي تحدثت عنها كانت معينًا لهم " وفوق هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها". فلتُحصي عدد الملوك الذين قاموا عليها في ذلك الوقت، كم عدد الذين إضطهدوها، إضطهادًا مخيفًا تجاوز كل الحدود، وفي أي حالة كانت الأوضاع في ذلك العصر، حين كان الإيمان جديدًا بعد، ونفوس البشر رقيقة ووديعة!.

الملوك الوثنيون كانوا كالآتي:

إن أغسطس، وتيباريوس، وجايوس، ونيرون، وفاسباسيانوس، وتيتوس[115]، وجميع الأباطرة الذين آتوا بعدهم، حتى عصر قسطنطين الكبير، قد حاربوا الكنيسة، البعض بشدة وقسوة، والبعض أقل، لكن الجميع قد حاربوها. وإن بدى البعض من هؤلاء في حالة سكون وهدوء، إلا أنه مجرد أن يوصف الملك بالجحود، فهذا بحد ذاته، كان سببًا للحروب، لأن البعض ممن كانوا يُنافقونهم، كانوا سببًا في إثارة حرب ضد الكنيسة، راغبين في الحصول على رضائهم وعطفهم. ولكن جميع هذه الفخاخ، وكل هذا الهجوم، قد تمزّق على نحو أسهل، من تمزيق خيوط العنكبوت، وتبدّد بأكثر سرعة من الدخان الذي يتبدد في الهواء، ومن الغبار الذي تُذريه الرياح. لأنهم من خلال كل تلك الوسائل التي إستخدموها، أفرزوا عددًا كبيرًا من الشهداء، وسلّموا تلك الكنوز الخالدة التي للكنيسة، الأعمدة والمنارات الحية، الذين صاروا سببًا لمنفعة

[115] وهؤلاء جميعًا، كانوا أباطرة رومانيين.

عظيمة للأجيال اللاحقة، ليس فقط وهم أحياء، بل وبعد إنتقالهم أيضًا. أرايت مدى دقة النبوة؟ "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها". وهكذا من خلال كل هذا، ينبغي أن تؤمن بحياة الدهر الآتي، وأن لا أحد من أولئك الذين إضطهدوها، قد بقيَ. رغم أن الكنيسة آنذاك، كانت قد تكونت من عدد قليل، ومع أن هذا الأمر قد بدى شيئًا جديدًا، والتعليم جديدًا، عندما شُنَّت الحروب والمعارك من حولها، إلا أنهم لم يتغلبوا عليها، ولم يسودوا عليها. فبالأكثر جدًا فقد سادت على المسكونة في كل مكان، في الجبال والمنحدرات، والمرتفعات. بل وفي البحار، وعلى كل الأمم الموجودة تحت الشمس، بينما الجحود أو عدم التقوى، قد بقى فقط في معابد وعلى مذابح وثنية قليلة، بل وأُبطلت إحتفالات، وممارسات، وأبخرة، ومحافل دنسة. إذًا كيف لهذا الأمر العظيم والمدهش، ورغم كل هذه العوائق، أن يصل إلى هذه النهاية، والنتيجة الهامة التي كشفت الحقيقة، إن لم يكن هذا محمولاً بقوة إلهية لا تُقهر، وهذه الحقيقة قد تنبأ عنها المسيح له المجد، وتحققت؟ لا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة،

إلا إذًا كان مجنونًا للغاية، وغير متزنًا، وبلا عقل تمامًا. وليس فقط تلك النبوات، بل ونبوات أخرى، قد أعلنت عن قوته التي لا تُقهر. بالطبع هو قد تنبأ بأمور الدهر الآتي بدقة كبيرة، وهذا قد تحقّق. ومن المستحيل أن لا يتحقق شيء مما قاله. لأنه من السهل أن تزول السماء والأرض، على أن يزول بعض من كلماته، أو يعتري نبواته أي كذب. لأنه هو ذاته، قبل أن تتحقق النبوات بعد، أعلن هذا تحديدًا، هكذا تكلم بوضوح عن نبواته، قائلا: " اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ"[116]. وهذا صائب جدًا، لأن هذه الكلمات، ليست كلمات عارضة، بل كلمات الله، التي خلقت كل الأشياء، إذ أن السماء والأرض، والبحر، والشمس، وجموع الملائكة، وكل القوات غير المرئية، قد خُلِقت بكلمته. وهذا ما أوضحه النبي بجلاء قائلاً: " لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ، وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ"[117]. وهو يعني بذلك، كل الخليقة التي في السماء، والتي على الأرض، المادية والروحية، الجسدانية، وغير

---

[116] مت٢٤:٢٥.
[117] مز١٤٨:٥-٦.

الجسدانية. النبوة التي سبقت وأخبرت بتأسيس الكنيسة، أظهرت - كما سبق وقلت - عِظم، ومقدار، وسمو حقيقته، وعنايته، وإحسانه، واهتمامه.

لنستعين أو نسترشد بنبوة أخرى أكثر إشراقًا من نور الشمس، وأكثر وضوحًا من الأشعة، وهي موجودة أمام أعيننا جميعًا، وهي سارية لكل الأجيال اللاحقة، تمامًا مثل النبوة السابقة، هكذا هي كل نبواته. لا تنتهي في فترة زمنية قصيرة، ولا تتحقق في جيل واحد، بل في كل عصر، تتحقق في مَن هم موجودين الآن، وفي الذين سيولدون، والذين سيأتون بعدهم، واللاحقون أيضًا عليهم، وحتى آخر الدهور، يحق لهم أن يعرفوا قوة الحقيقة، تمامًا مثل السابقين. فمنذ اليوم الذي تأسست فيه الكنيسة، وحتى نهاية العالم، تقف راسخة مزدهرة، ومشرقة، تنمو كل يوم وتكبر، مانحة قوة كبيرة ومعطية لكل من سيوجد في هذا العالم، وحتى مجيء المسيح الثاني، أن ينالوا الثمر من هذه الخيرات الكثيرة والعظيمة، ويتمتعوا بفائدة لا تُوصف.

وبالتأكيد الذين كانوا قبلنا، والذين كانوا قبلهم، قد أدركوا قوتها ناظرين من ناحية إلى أن كثيرين قد حاربوها، والأخطار، والإضطرابات، والقلاقل، والأمواج العاتية، والكوارث قد أحاطت بها، ومن ناحية أخرى رأوا أنها لم تغرق، ولم تُقهر. ولم تخضع، ولم تُمحىَ أو تزول، بل إزدهرت وعَظُمت، ووقفت شامخة في سمو عظيم.

## خراب الهيكل:

أما عن النبوة التي أود الإشارة إليها الآن، فهي نبوة مشابهة تهدف إلى إظهار القوة، والحقيقة، فيما سبق وقيل. وما هذه النبوة؟ عندما دخل المسيح مرة إلى الهيكل اليهودي، وكان آنذاك في حالة إزدهار، وكان يلمع من كل جهة، بسبب الذهب الكثير، وجمال وعظمة المباني، وكان يحمل فخامة في فن التصميم، والمواد المستخدمة، وبينما فقد تلاميذه الرؤية، ماذا قال؟ قال: " أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!"[١١٨]. بهذه الكلمات، تنبأ عن خراب

---

[١١٨] مت٢٤:٢.

الهيكل، فقد تهدَّم، وصار أنقاضًا، هذا هو الحال اليوم في أورشليم، وهكذا تحوَّل ذلك البناء الضخم إلى أنقاض. أرايت قوته العظيمة التي لا يُعبَّر عنها، إنه يخلق، ويُغني الذين يحبونه، ويُخضع ويهلك كل الذين يُقامونه. فمن المؤكد، أنه لم يوجد مثل هذا الهيكل في أي مكان، ولم يُوجد ما هو أكثر شهرة منه، والذي كانت تُقام فيه كل هذه الممارسات الدينية. لأن اليهود الذين سكنوا في كل الأرض، كانوا يأتون آنذاك من أطراف المسكونة حاملين معهم عطايا، وتقدمات، وذبائح، وباكورات ثمار الأرض، وأشياء آخرى كثيرة، ويزينون الهيكل بكل الأشياء الثمينة التي في العالم. وكان اليهود المؤمنين يجتمعون هناك، وكان إسم الهيكل معروفًا، ومشهورًا، حتى أنه وصل إلى أقاصي المسكونة. ولكن نبوة واحدة قالها للمسيح أزالت كل هذا، وذُريَّ في الهواء كالغبار. إذ لم يكن مسموحًا لأي يهودي، بل ولا حتى من الكهنة، أن يدخل قدس الأقداس، فقط كان مسموحًا لمن أُختير رئيس كهنة، ومرة واحدة في العام، أن يدخل إلى الداخل بتيجان، وملابس كهنوتية آخرى، أما

الآن فيمكن للزانيات، والزواني، والكسالى أن يدخلوا، دون أن يمنعهم أحد. فتلك النبوة قد تحققت، وزال كل شيء من الهيكل، وبَطُلَ، وما بقيَ منه سوى ما يُظهِر للمرء، أن في هذا المكان كان يوجد الهيكل.

إذًا لتفهم الآن كم من القوة كان لدى هؤلاء الذين بشروا بالمصلوب، أولئك الذين حققوا أمورًا عظيمة، وإنتصروا على أمم وملوك، كما إنتصروا في كثير من الحروب في أماكن عدة، دون أن يُسفك دم، ورفعوا رايات نصر جديدة وعجيبة ولا حصر لها، أما اليهود فلم يستطيعوا أن يبنوا هيكلاً واحد منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، في اللحظة التي كان يوجد فيها كل هؤلاء الملوك الذين ساعدوهم، وكل هذه الجموع المنتشرة في كل المسكونة، والذين خصصوا أموالاً طائلة لهذا الهدف. أرايت كيف أن ما بناه لم يستطع أحد أن يهدمه، وأن ما هدمه، لم يستطع أحد أن يبنيه؟ لقد أسس الكنيسة، ولم يستطع أحد أن يهدمها. هُدِمَ الهيكل، ولم يستطع أحد أن يُعيد بناءه، وكل هذا

قد حدث في فترة زمنية طويلة. بالطبع لم تنجح جميع محاولات الكثيرين لهدم الكنيسة، وفي المقابل، كل مَن كان لديهم رغبة في إعادة بناء الهيكل، لم ينجحوا.

لقد سُمِحَ لهم بأن يُحاولوا، وذلك حتى لا يقول أحد، بأنهم لو بدأوا، لإستطاعوا أن ينجحوا. ها هم قد حاولوا، ولم يستطيعوا أن يحققوا شيئًا. فمن المعروف في جيلنا، أن هذا الملك الذي تجاوز حدود الجحود، وإصدار الأوامر، قد منح اليهود آنذاك مساعدات للبناء، وقد بدأوا العمل، ولكنهم لم يقدروا أن يستمروا ولو قليلاً. ومن جهة أنهم أرادوا، فهذا واضح من حيث أن الأساسات حتى اليوم، عارية، لكي يثبتوا أنهم حاولوا أن يؤسسوا، ولكن لم يستطيعوا أن يعيدوا البناء، لأن قرار الرب كان عكس ذلك، على الرغم من أن هذا الهيكل، الذي هُدِمَ آنذاك، عندما عادوا من السبي، بعد سبعين سنة، أعادوا بناءه على الفور، وصار أكثر إشراقًا من الهيكل السابق، وهذا قد سبق الأنبياء وأخبروا به، حتى قبل أن يحدث. الآن وقد مرَّ أربعمائة عام،

لا يوجد تفكير، ولا أمل، ولا أي رجاء، في عودة هذا الهيكل مرةً أخرى. وما يمنع تحقيق هذا، ليس شيء آخر، سوى قوة إلهية، تقف دون إنجاز هذا الأمر. هل لأنهم ليس لديهم ما يكفي من الأموال؟ ألا يمتلك رئيس اليهود كنوزًا هائلة، تلك التي يجمعها من الضرائب من كل مكان؟ أليست هذه الأمه مندفعة، ولا تخجل، ومُحبة للنزاع، ووقحة، ومحبة للحرب؟ ألم يوجد كثيرين منهم في فلسطين، وفي فينيقيا، وفي كل مكان؟ إذًا كيف لم يستطيعوا أن يُعيدوا بناء هيكل واحد، بينما يروا عبادتهم وقد صارت محصورة ومحدودة من كل جهة، وعادات اليهود قد زالت، وأن التقدمات. والذبائح، وكل العادات الآخرى، قد بطلت وتوقفت؟ لماذا لم يُسمح لهم أن يقيموا ولا حتى مذبحًا، ولا أن يقدموا ذبيحة، ولا أن يقيموا إحتفالاً، ولا أن يرفعوا بخورًا، ولا أن يقرأوا الناموس، ولا أي شيء آخر مشابه، سوى الصلاة خارج الأسوار.

وعندما كانوا في السبي في بابل، أجبرهم أعداؤهم على أن يُرنموا، لم يخضعوا، ولم يُطيعوا، على الرغم من أنهم كانوا أسرى وعبيد لدى آخرين، وثبتوا على موقفهم. وعندما فقدوا وطنهم، وحريتهم، بل وحياتهم ذاتها تعرَّضت للخطر، خاصةً وقد أُمسك بهم كما في فخاخ، ووقعوا في أيدي أعدائهم، عندما أُمروا أن يرنموا بالآلات الموسيقية، كانت ترانيمهم هكذا: " عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ. عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا. لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبَوْنَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ، وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: «رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ». كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟"[١١٩]. وآلاتهم كانت معهم، لأنهم يقولون: " عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا". كما انه لم يُسمح لهم حتى بالصوم، الأمر الذي قاله النبي: " هذِهِ السَّبْعِينَ سَنَةً، فَهَلْ صُمْتُمْ صَوْمًا لِي أَنَا؟"[١٢٠]. إسمع الآن، كيف أنه لم يُسمح لهم أن يقدموا ذبيحة، ولا بخورًا، ولا

---

[١١٩] مز١٣٧:١-٤.
[١٢٠] زك ٧:٥.

شرابًا، هكذا تكلَّموا الفتية الثلاث، الذين قالوا: "لا رئيس لنا ولا نبي ولا قائد ولا محرقة ولا ذبيحة ولا تقدمة ولا بخور ولا موضع لنا لنقرب البواكير أمامك لننال رضاك"[١٢١]. لم يقل النبي إنه لا يوجد كهنة، بل قال هذا، حتى تفهم أن هذا الأمر يعتمد على المكان، وأن الناموس كله كان مرتبطًا بذلك المكان بشكل وثيق، لذلك قال: "لا موضع لنا". إذ لم يكن مسموحًا لهم حتى أن يقرأوا الناموس في أرض غريبة. وهذا ما أدانهم به نبي آخر، قائلاً: "ونادوا بتقدمات وأذيعوها"[١٢٢] فلا عبور، ولا عنصره، ولا مظال، ولا أي شيء آخر من تلك الأمور، لكي يحتفلوا. لكنهم كانوا يعرفون أن كل هذه الأمور، قد تعطلت وتوقفت بخراب أورشليم، وإن شرعوا في عمل شيء، لكانوا مخالفين للقانون، وسيُعَاقَبون، ولم يستطيعوا أن يُعيدوا بناء المدينة، والتي فيها، كان يحق لهم وفقًا للناموس، أن يمارسوا كل هذه العبادة. لأن قوة المسيح التي أقامت الكنيسة، هي نفسها التي هدمت المدينة. وهذا ما تنبأ به النبي، أي

---

[١٢١] دا ٣:٣٨ (س).
[١٢٢] عا٤:٥ (س).

تنبأ عن مجيء المسيح، وأنه سيحقق كل هذا، بالرغم من أنه سيأتي بعد االسبي. إسمع ماذا يقول: " مَنْ فِيكُمْ يُغْلِقُ الْبَابَ، بَلْ لاَ تُوقِدُونَ عَلَى مَذْبَحِي مَجَّانًا؟ لَيْسَتْ لِي مَسَرَّةٌ بِكُمْ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، وَلاَ أَقْبَلُ تَقْدِمَةً مِنْ يَدِكُمْ. لأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لاسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ"[١٢٣]. أرايت بأي طريقة قد أنهى الديانة اليهودية، وجعل المسيحية أكثر بهاءًا، وأوسع إنتشارًا في كل الأرض؟ وطريقة العبادة، قد أظهرها بني آخر، قائلاً: " ليدعوا بإسم الرب ويعبدوه بقلب واحد"[١٢٤]. ونبي آخر يقول: " سَقَطَتْ عَذْرَاءُ إِسْرَائِيلَ. لاَ تَعُودُ تَقُومُ"[١٢٥]. وقد روى دانيال كل هذا بوضوح، أي أن الذبائح ستبطل، وستتوقف الإحتفالات، والمسحة بالدهن"[١٢٦].

## الآيات والعجائب:

لنتابع هدفنا مُصححين الرؤى الحادة التي للأممين الحمقى. فأنا لم أحدثك عن موتى قد

---

[١٢٣] ملا ١: ١٠-١١.
[١٢٤] صفنيا٣: ٩ (س)
[١٢٥] عا ٥: ٢.
[١٢٦] المسحة التي كان يُدهن بها الملوك، ورؤساء الكهنة.

قاموا، ولا مرضى جزام قد شُفيوا، حتى لا تتهمنا بالكذب، والزهو، والأساطير، وتقول مَن رأى هذه المعجزات؟ ومَن سمع بها؟ ولكن أولئك الذين قالوا إنه صُلِبَ، وأنه تلقى الضربات والجلد، هم الذين قالوا ذلك. إذًا كيف تعتقد أن هؤلاء الأنبياء هم موضع ثقة وتصديق في تلك النبوات، ثم تُعبِّر عن رأيك بأن ما قيل من قبل، لم يحدث؟ فإن كانوا قد كتبوا عن المعلم مفتخرين،لكن بلا هدف، وبلا فائدة، لكانوا قد أشاروا فقط إلى الأمور المحزنة. وتلك التي تبدو للكثيرين أنها مُهينة. ولكنهم الآن يُظهرون الحقيقة تجاه كل هذه الأمور، فقد إنشغلوا بالأكثر بالتفاصيل التي تخص حياة المسيح. وتأسيس الكنيسة، ووصفوها بدقة، دون أن يغفلوا أي شيء، سواء كان بسيطًا، أو مهمًا. وبالعكس أغفلوا أكثر الآيات والعجائب، بينما جميعهم، قد وصفوا الآلام، وأصروا على البقاء في وصف هذه الآلام بشكل أساسي. لكن على الرغم من أنني لم أحدثك عن شيء من هذه العجائب والمعجزات، فأنا أريد أن أتكلم عنها، حتى أوقف كل حديث مُخزي، فالأحداث الآنية، تلك التي توجد أمام

أعيننا، هذه التي هي أوضح من الشمس، ومنتشرة في كل المسكونة، والتي فاقت الطبيعة الإنسانية، والتي تنتسب لله فقط، هذه هي التي عرضتها وقدمتها. ماذا تقول ألم يُقِم أمواتًا؟ وهل تريد أن تقول لنا بعد، أنه لا توجد كنائس في كل المسكونة؟ ولم ينل المؤمنين إضطهاد في هذه الكنائس؟ ولا أنهم عاشوا وملكوا على كل شيء؟ ولكن إن كنَّا لا نستطيع أن نقول إن الشمس غير موجودة، هكذا لا نستطيع أن نقول شيئًا مثل هذا. ألم ترى خراب الهيكل اليهودي، الذي كان عامرًا أمام أعين المسكونة كافة؟ لماذا لا تتعقل؟ فإن لم يكن هناك إلهًا، بل وإلهًا قويًا، فكيف تزايد عدد المؤمنين للغاية، على الرغم من أنهم كانوا مضطهدين، ومُطَارَدين، والذين صلبوه، وضربوه، قد عاشوا حياة ذليله للغاية، حتى أنهم طُردوا من كل مدينة، متشردين، تائهين، منفيين.

وحدث كل هذا، في اللحظة التي فيها، إستعد اليهود للحرب، ووجهوا أسلحتهم نحو السلطة الرومانية، وظلوا لفترات طويلة في حالة حرب،

وسيطروا على بعض الأماكن، وأزعجوا الأباطرة الرومان، إزعاجًا ليس بالقليل. كانت قوتهم كبيرة، ومع ذلك، فأولئك الذين حاربوا، وصارعوا ضد ملوك كثيرين، الذين وضعوا أموالاً طائلة، وأسلحة، وأعدوا الجنود، والقادة، وجموع لا حصر لها، لم يتمكنوا من إقامة هيكل واحد. بالطبع قد بنوا مجامع في مدن كثيرة، ولكن المكان الذي منح أمتهم كل هذا المجد، وقد إعتادوا أن يؤدوا كل ممارستهم الدينية فيه، والذي حفظ لليهودية كيانها، لم يستطيعوا أن يُعيدوا بناءه إلى الوضع الذي كان عليه.

# العظة الثانية

# ألوهية الإبن

## للقديس غريغوريوس النيسي

# فهرس المحتويات

العظة الثانية ............................................. ٩٧

القديس غريغوريوس النيسى (٣٣٥.٣٩٤) ........................ ١٠١

مقدمة ................................................... ١٠٧

ألوهية الإبن ............................................. ١١١

حارين في الروح ........................................... ١١١

إعلان الحقيقة: ........................................... ١١٦

مقاومة الحق: ............................................. ١٢٠

أنا في الآب والآب فيّ: ................................... ١٢٢

تحقيق الوعد الإلهي: ...................................... ١٢٨

ماهية الطبيعة الإلهية: .................................... ١٣٨

ألوهية الروح القدس: ...................................... ١٤١

## القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٥-٣٩٤)

هو الأخ الأصغر للقديس باسيليوس الكبير. وُلد في قيصرية كبادوكية سنة ٣٣٥م. وقد أهّلته دراساته المتنوعة في أثينا أن يكون ذا ثقافة لاهوتية عميقة، كما هو واضح من أسلوب كتاباته المتميز. عمل القديس غريغوريوس النيسى لفترة قصيرة بالخطابة، ولكنه بعد نصيحة من صديقه القديس غريغوريوس اللاهوتى ذهب إلى أحد الأديرة التي أسسها اخوه القديس باسيليوس الكبير. ثم بعد ذلك رُسم، على غير إرادته، أُسقفاً لبلدة نيس سنة ٣٧١م.

وضع القديس غريغوريوس النيسى كل اهتمامه في رعاية المحتاجين، وتحصين المؤمنين بالكلمة المستقيمة والتعليم الصحيح. وكان هدفه الوحيد هو قيادة النفوس إلى المسيح، إذ هو الطريق الوحيد الذي يستطيع أن يقود البشر إلى الحياة الأبدية، والتمتع بخيرات الدهر الآتي. وبسبب ثباته في الحق وتمسكه به، صار هدفاً للأريوسيين الذين أدانوه في مجمع محلى بمدينة نيس وأُبعد عن كرسيه. إلاّ أنه بعد وفاة الإمبراطور فالنس سنة ٣٧٨م عاد إلى كرسيه مرة أخرى، وبعد عام سنة ٣٧٩م شارك في

مجمع أنطاكية ضد أبوليناريوس، وكان له دورًا فعّالاً في دحض آرائه الهرطوقية. ولم يغادر المدينة على الفور بل بقى هناك أشهر قليلة. وفي سنة ٣٨١م شارك في المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية ولعب دورًا هامًا في المناقشات التي دارت بالمجمع، وقد وضع كتبًا لاهوتية عميقة عن ألوهية الروح القدس وعقيدة الثالوث القدوس. تنيح سنة ٣٩٤م، وتحتفل الكنيسة بتذكاره في ٢٦ هاتور الموافق ٥ ديسمبر من كل عام.

**كتاباته التي حُفظت:**

**كتابات عقائدية:**

١ ـ ضد أفنوميوس وهو عمل مكون من أربعة أجزاء، وقد كتبه لكى يُفند ويدحض آراءه.

٢ ـ ضد أبوليناريوس: وفيه يفند ويرد على آراء أبوليناريوس ويبرهن على حقيقة التجسد الإلهى.

٣ ـ ضد المكدونيين: تحدث فيه عن ألوهية الروح القدس.

٤ ـ عظات تعليميه للموعوظين: وهذا التعليم يُشكِّل شرحًا منظمًا للإيمان الأرثوذكسى. الجزء الأول منه يتعلق بعقيدة الثالوث، أما الجزء الثانى فله علاقة

بعقيدة الخريستولوجي (طبيعة المسيح)، وفيه يؤكد على أن الخلاص الذي ناله الإنسان قد جاء نتيجة تجسد الكلمة. الجزء الثالث يتحدث فيه **عن المعمودية والافخارستيا.**

٥ ـ وقد كتب القديس غريغوريوس النيسى أربعة رسائل صغيرة عن عقيدة الثالوث وهى:

+ إلى أفستاسيوس عن الثالوث.
+ إلى أحد الوثنيين عن وحدة الجوهر.
+ إلى أفلافيوس، على أنه لا يوجد ثلاثة آلهة.
+ إلى سيمبليكيوس، عن الإيمان.

**٦ ـ عن النفس والقيامة.**

بعد عودته من مجمع أنطاكية سنة ٣٧٩م، وجد أخته ماكرينا على فراش الموت، ودار بينهما نقاش سجّله القديس غريغوريوس في شكل حوار. وكان محتوى هذا الحوار يدور حول حلول المشاكلات الكبرى في الحياة، وحول النفس، والموت والخلود، والقيامة.

٧ ـ كتب ضد الإيمان بالقضاء والقدر والمحتوم، وفيه يقاوم إيمان البعض بالنجوم والفلك، ويؤكد على أن الأبراج الفلكية لا تؤثر في الإنسان عند ميلاده.

**تفاسير:**

+ كتب رسالتين تفسيريتين أرسلهما إلى أخوه القديس بطرس (أسقف سابستيا): عن خلق الإنسان، حيث يفسر الآية ٢٦ من الاصحاح الاول من سفر التكوين. بعد ذلك كتب عن ستة أيام الخليقة، والذي أكمل فيه عمل اخيه القديس باسيليوس الكبير عن الخليقة، ويشرح آراءه ويُزيل أى لبث حول نص سفر التكوين.

+ عن حياة موسى النبي ويتكون من مدخل في الحياة السرائرية مع عرض لشخصية موسى النبى.

+ تفسير العدد ١٢ من الإصحاح ٢٨ من سفر صموئيل الأول.

+ سفر الجامعة (٨ عظات).

+ نشيد الأنشاد (١٥ عظة).

+ في الصلاة (٥ عظات).

+ في التطويبات (٨ عظات).

+ تفسير رسالة كورنثوس الأولى (عظتان).

+ مقال عن المزامير.

**نسكيات:**

+ كتب عن البتولية، حيث يرى القديس غريغوريوس النيسى أن البتولية هى الطريق الذي من خلاله ينزل الله إلى الأرض، ويصعد الإنسان إلى السماء. وكنموذج للبتولية الحقيقية، يذكر المسيح له المجد ووالدة الإله العذراء القديسة مريم.

+ عن أعمال المسيحيين.

+ عن الكمال، وأن بداية ونهاية الكمال هو المسيح.

+ عن القصد الإلهي من الخلق.

+ عن حياة ماكرينا.

**مقالات:**

كتب القديس غريغوريوس مقالات عقائدية. وأخلاقية، واحتفالية (أى في الأعياد الكنسية)، وأيضًا مقالات مديح، كمديح اسطفانوس أول الشهداء، ومديح في الشهيد ثيودورس، ومديح في القديس غريغوريوس صانع العجائب، وفي الأربعين شهيد، وفي القديس باسيليوس الكبير.

**رسائل:**

ومن بين الرسائل التي كتبها حُفظت ٣٠ رسالة تناولت موضوعات متنوعة.

# مقدمة

يؤكد القديس غريغوريوس النيسي في هذه العظة على أن طبيعة الله هي فوق مستوى أفكار البشر. وقد إنطلق في عرضه لهذه العظة، من حادثة دخول بولس لأحد الهياكل الوثنية، وكانت المقدمة لكلامه، كما يقول، مذبحًا وكتابه على هذا المذبح (لإله مجهول). ورغم أنهم إعترفوا بأن إلههم الحقيقي كان مجهولاً، إلا أنهم كانوا يكرمون مَن يجهلونه، ثم تحولوا بأفكارهم إلى معرفة الإله الحقيقي بعد أن كرز لهم الرسول بولس بهذا الإله الذي يجهولونه. أما أولئك الذين توجه لهم القديس غريغوريوس النيسي بكلامه، فهم يفتخرون بأنهم يعرفون الله الذي يعلو على أفكارهم، وهم بذلك يؤمنون بأمور باطلة، وقد أصابهم العمى تمامًا، فبينما أشرق نور الحقيقة على حياتنا، وملىء كل المسكونة، إلا أنهم قاوموا العقائد المستقيمة، وحاولوا أن يُثبتوا أن الإبن وحيد الجنس، مخلوق.

وهذا هو الكفر والإلحاد بعينه الذي نادى به الإفنوميون، متجاهلين قول الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين " الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره"، وقوله أيضًا في رسالته إلى أهل كورنثوس " قوة الله وحكمة الله"، وأوصاف أخرى مشابهه، وكل وصف من هذه الأوصاف مرتبط بالضرورة بالآخر، لا يفهم وحده، أي أن الواحد يُدرك في إرتباطه بالآخر. فالبهاء في كل الأحوال هو بهاء شخص آخر، والختم أو الرسم، هو لآخر. فكما أن النور لن يكون بهاء، إن لم يوجد المصدر الذي ينبثق منه، هكذا لا يمكن للطبيعة التي تعطي هذا البهاء، أن تُدرك في ذاتها، إن لم يكن البهاء متحد بها. وهكذا الختم الذي يُظهر الجوهر، فالجوهر يصبح معروفًا من خلال رسمه أو ختمه، وهكذا قوة الله، لا يمكن أن تُوجد بدون الله. ثم يضيف قائلاً: لكن محاربي التقوى، يدَّعون، بأن الإبن لم يكن موجودًا في وقت ما، لكن إن لم يكن الإبن موجودًا،

فبالتأكيد لن يكون الآب موجودًا، وإن لم يكن البهاء موجودًا، فإن مصدر البهاء لن يكون موجودًا، وإن لم يكن الختم موجودًا، فلن يكون الجوهر موجودًا، وإن لم تكن القوة موجودة، فلن تكون الحكمة موجودة. وإن لم يكن كل هذا موجودًا، فلن يكون الله موجودًا، وكيف سيكون ضابط الكل، لأن كل هذه الصفات. تؤكد وتُثبت أن الله موجود. لأنه من غير الممكن إدراك المجد بدون بهاء، وجوهر بدون ختم، وحكيم بدون حكمة، وقوي بدون قوة، وأب بدون إبن. إذًا يتضح من خلال كل ما قلناه، أن مَن يُنكر الإبن، ينكر الآب معه، وعندئذ تُبطل الألوهية بشكل عام. وإنكار الألوهية، ليس شيء آخر، سوى تعليم أبيقور.

نص هذه العظة موجود في بترولوجيا ميني وقد تمت الترجمة عن النص اليوناني المنشور في مجموعة

آباء الكنيسة اليونانية (ΕΠΕ) الصادرة في تسالونيكي ١٩٧٣، Τομ. 10, σελ 32-67

أرجو أن يستخدم المسيح إلهنا هذا الكتاب لمجد إسمه ولبنيان شعبه، بصلوات القديس غريغوريوس النيسي، وصلوات أبينا المعظم قداسة البابا تواضروس الثاني، والمجد والتسبيح والسجود للآب والإبن والروح القدس الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

د. سعيد حكيم

# ألوهية الإبن

## حارين في الروح

إن الذين يعشقون مناظر المراعي بأزهارها الخلابة يتألمون عند النظر إلى روعة جمالها الفائق الذي يجعل أعينهم لا تتوقف عن التأمل في كل واحده منها، بل إن رغبتهم تدفعهم إلى التجول في كل ركن منها، حتى لا يفوتهم التمتع بمشاهدة كل شيء، وبينما يفعلون ذلك، لا يتمتعون بما يرونه في روعته، لأنهم يُريدون ألا يفوتهم مشاهدة أي منظر من هذه المناظر الخلابة، وأنا أيضًا أتألم على هذا النحو. عندما أتجول في مرعى الكتاب المقدس، لأن المعاني الجميلة المتنوعة، تجتذب نفسي إلى كل تفاصيل نصوص الكتاب المقدس، وتجعل الرغبة متآرجحة، ولا تستطيع أن تُقرر ما الذي تُفضّله من كل هذه المعاني المتساوية في جمالها. هكذا أشرقت زهور النبوة داخل العظيم داود النبي، وكم هو زهرة جميلة هذا الرسول الإلهي (الرسول

بولس)، الذي يؤكد على جمال الفردوس، والذي تنسَّم روائح المسيح العطرة، وأيضًا أي لغة إنسانية تستطيع أن تصف جمال أزهار الإنجيل؟

ولكن من الجيد، كما أعتقد أن أُشير في هذه الساعة إلى ما يحث عليه سفر الجامعة، "إِذَا امْتَلأَتِ السُّحُبُ مَطَرًا تُرِيقُهُ عَلَى الأَرْضِ"[١٢٧]. حتى أغير من النحلة، والتي كما يقول الكتاب أن لها بالطبع قوة بسيطة أو قليلة، ولا يشاهدها أحد وهي تقطع الزهرة بكاملها، وتحملها فوق ظهرها إلى الخلية، بل وتطير بأجنحتها وتستقر على الأزهار، وتمتص الرحيق، وتؤدي هذا العمل بحكمة. وتبني خلاياها وتمتد بها، بكل هذه الدقة. وإذا أردنا، أن يساهم حديثي، كما يقول سليمان الحكيم في تعافي الملوك، والبسطاء، فلنحتضن النعمة، أنا وأنتم بالتساوي، ولنفعل ذلك بالصلاة. لأن الربح مشترك، بل إن ربحكم أعظم، لأنه أن تنال شيئًا جيدًا جالباً للربح، أفضل من أن تُعطي. الإنجيل يمنع أن نضع

---

[١٢٧] جا١١:٣.

خمرًا جيدًا في زقاق عتيقة[١٢٨]، وربما هذه الإشارة تخص اللحظة الراهنة، بمعنى أن عصير العنب بعد إجراء عملية غليه، وإضافة الكحول، ومع فورانه نتيجة الغلي، يُخرج ريم وبعض الأشياء العالقة، حتى يصبح في النهاية، نقيًا.

هذا بحسب كلمات الرسول بولس، ليس شيء آخر سوى التعليم عن الروح القدس، لأنه يقول: "حارين في الروح"[١٢٩]، هذه الكلمات لا تحتملها النفوس الفاسدة، الممزقة، والمهلهلة، بسبب الكفر وعدم الإيمان، بل ويهلكون من كل جانب، أمام عظمة العقيدة. لذلك إن حدث وثار داخلهم فكر مرتفع بسبب التعليم، تُبدده العقيدة الإيمانية العظيمة القدر، وهكذا فإن الخروقات ذاتها التي تتسع بسبب أعمالهم، تجعل النفس بلا نفع، ويجعلون نعمة الروح القدس تفرغ وتُسكب بلا نفع. لأن الكتاب يقول: "الحكمة لا تدخل نفسًا ماكرة"[١٣٠]. لكن

---

[١٢٨] مت٩: ١٧.
[١٢٩] رو١٢: ١١.
[١٣٠] حك١: ٤.

إسمحوا لي، وهذا أفضل، أن أقتدي بعادة الفقراء. لأن هؤلاء عادة، عندما ينالوا شرف الجلوس على مائدة غنية بالأطعمة، يتغلبون على خجلهم، ويأخذون من الأطعمة التي تُقدم لهم، جزء لليوم التالي. وأنا أيضًا سأستخدم من فائض الأمس، قدرًا يسيرًا، حتى أضع لكم من هذا المقدار طعامًا على قدر طاقتي، محتفظًا بالكثير مما طرح أو قُدِّم اليوم للجالسين الكاملين.

إذًا ما هو الذي لم يأكلوه من وليمة الأمس الغنية بالأطعمة، ولم يستطع جلساء المائدة أن يهضموه؟ إنه مقطع من سفر أعمال الرسل، يحكى لنا كيف كانت زيارة الرسول بولس إلى أثينا، فبينما الشعب كان يعبد الأوثان بهوس، واصابهم الدوار، بسبب الأبخرة، وروائح البخور التي في الهياكل، إحتدت روح الرسول بولس فيه، كأنه تيار ملأ نفسه، ولم تتسع نفسه لقبول هذا المشهد، ولم يجد مخرجًا لهؤلاء الناس غير المستحقين للحياة الأبدية. لذلك أتى في مواجهة مع الرواقيين، والإيبوقورين، فصعد

إلى أريوس باغوس محاولاً أن يقودهم إلى معرفة الله، من خلال أمور معروفة لديهم. لأن المقدمة لكلامه، كان مذبحًا كُتب عليه عبارة لإله مجهول.

ولماذا أُشير إلى هذا المقطع؟ لأن اليوم أيضًا، هناك مَن هم على شاكلة أهل أثينا، الذين لا ينفقوا وقتهم، إلا فقط في سماع كل ما هو جديد، والتحدث فيه أيضًا، بعضهم يُمارس هذا الأمر في المساء. والبعض الآخر في الصباح، وهؤلاء ينتمون إلى مهن متواضعة، البعض أقام من نفسه معلمًا للعلوم اللاّهوتية، وربما كان يوجد عبيدًا أيضًا ممن كانوا يُجلَدون بقسوة، أو هاربين من أداء خدمات مكلفين بها، هؤلاء يأتون إلينا ليعلمونا عن الأمور غير المدركة. بالطبع لا يغفل عليكم، إلى مَن أتوجه بحديثي هذا. لقد إمتلأت كل جنبات المدينة من هؤلاء الناس، الأزقة، الأسواق، الميادين، والبيوت، تَجَّار الأقمشة، وبائعي الفضة، والبقالين. فإن سألت أحد منهم عن المال، سيُجيبك عن المولود، وغير المولود، وإن سألته عن ثمن الخبز، سيرد بأن الآب

هو أعظم، والإبن يخضع له. وإن قلت له إن الحمَّام مُعَد، سيقول لك بشكل قاطع إن الإبن قد أتى من العدم. أنا لا أعرف كيف أُسمى هذا الشر، هل هو جنون، أم هوس، أم وباء قد أصاب العقل بالعته.

**إعلان الحقيقة:**

لذلك أقول إن هذا المقطع من أعمال الرسل، يخص هؤلاء. لأن ما يخبرنا به الكتاب عن أهل أثينا، هو ما يمكنك أن تُلاحظه الآن على هؤلاء الناس. وإن كان ينبغي أن نقول الحقيقة، فإن خطيتهم هي أكثر ثقلاً من خطية أهل أثينا. لأن أهل أثينا، كما لو كانوا قد أصيبوا بمرض في أعينهم، إذ قد أُغلِقت عيون أنفسهم، لم يستطيعوا أن يكرزوا بالحقيقة المستقيمة. ومع ذلك فإنه بنوع ما من تواصل الأفكار، قد أدركوا أن الأمور المختصة بالله هي غير مُدركه تمامًا، لأنها تتجاوز أفكارنا، لأن طبيعة الله لا تخضع للفكر. لذلك، فبينما إعترفوا بأن إلهم الحقيقي، كان مجهولاً، إلا أنهم كانوا يُكرمون مَن يجهلونه، بمذبح وبعبارات مكتوبة.

ومن حيث أنهم تحولوا بأفكارهم نحو الإله الحقيقي، فهذا ما يشهد به الرسول بولس نفسه، كارزًا لهم بالإله الحقيقي، والذي إعتقدوا أنهم يعبدونه، مكرمين المذبح الذي كُتب عليه إسمه.

إذًا ألا يعتبر الذين يؤمنون بالأمور الباطلة، اسوأ من القدماء؟ أولئك الذين لا يؤمنوا بأن الأمور المختصة بالله، تتجاوز إدراكهم، بل يفتخرون بأنهم يعرفون الله، كما يعرف هو ذاته؟ كيف لا ينوح المرء، ويحزن على هؤلاء البؤساء الذين أصابهم العمى، فبينما أشرق نور الحقيقة في حياتنا، وملأ المسكونة، فإن هؤلاء يتطلعون للأرض بقتامة، وظلمة نفس؟ أم أنكم تجهلون ماهية النور الذي أتحدث عنه، والذي ملأ حياتنا؟ إحصوا لي المنارات الملوكية التي تتساوى في العدد مع المبشرين بالإنجيل، إنها تظل ضئيلة، أمام أولئك المبشرين بالحق، الذين جابوا المسكونة وأناروها، بنور السلام والتقوى. فعندما صنع الله، خالق كل الأشياء، أول آية خاصة بالأجرام السماوية، لم يضع في البداية،

ما نراه من النور الأكبر (أي الشمس)، بل وضع إلى جواره النور الأصغر (أي القمر)، والذي كان يُشرق في نفس الوقت مع إشعاعات الآباء. وبعد ذلك وبينما صار لدينا إصلاحًا في نفوسنا، فكما لو كانوا قد تهيجوا بشدة من وخذ الشياطين، قاوموا العقائد الحقة بلا خجل، فتبعوا أولئك الرواقيين، والإبيوقوريين الذين تصادم معهم الرسول بولس في أثينا، وحتى لا تعتقدوا أن حديثي فيه وشاية بأحد، لنفحص عقائد هؤلاء الفلاسفة. فالرواقيون يعتبرون أن الإلوهية شيء مادي، وهؤلاء الهراطقة أيضًا يحاولون أن يُثبتوا أن الإبن وحيد الجنس، مخلوق. وبالطبع أنتم تعرفون مدى القرابة التي تربط بين المخلوق، والمادة. ومن ناحية أخرى فإن الإبيوقوريين يؤمنون بأن لا أحد يُدير هذا الكون أو يراقب ويلاحظ الكائنات، بل إن كل شيء يسير من تلقاء ذاته، وليست هناك أي عناية أو إهتمام بتدبير أمور هذا الكون. ولكي نسجل ضلالهم، وعقائدهم التي سريعًا ما إنتهت إلى الإلحاد والكفر، لنفحص

الآتي: " أليس كل مَن يُنكر ألوهية الإبن، يقتدي بالإبيوقوريين؟ ويجب ألا يُعارض أحد في أن إبيقور لم يعرف الآب، ولم يعترف بألوهيته، فكيف لا يُعتَبر الذين ينكرون ألوهية الآب، جاحدين، وملحدين؟ وإن إنتبهت قليلاً، ستجد في شخص أفنوميوس، إبيقور آخر. لنفحص الآتي: لقد دعى الرسول بولس، الإبن " بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ"[١٣١]. وأيضًا " قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ"[١٣٢]. وأوصاف آخرى مشابهة. وكل وصف من هذه الأوصاف مرتبط بالضرورة بالآخر، ولا يفهم بمفرده، بل بإتحاده بالآخر، أي يُدرك الواحد مع الآخر. فالبهاء هو في كل الأحوال، بهاء شخص آخر، والرسم أو الختم هو في كل الأحوال، ختم لآخر. مثلما أن النور، لن يكون بهاء، إن لم يوجد المصدر الذي ينبثق منه، هكذا لا يمكن للطبيعة التي تُعطي هذا البهاء، أن تُدرك في ذاتها إن لم يكن البهاء مرتبطًا بها. وبالمثل هو الختم الذي يُظهِر الجوهر،

---

[١٣١] عب١:٣.

[١٣٢] ١كو١:٢٤.

والجوهر يصبح معروفًا من خلال ختمه. هكذا قوة الله، لا يمكن أن توجد بدون الله، ومن غير الطبيعي أن يُعرَف الله بدون قوته. إذًا فكل مَن يقول أن عضوًا من أعضاء هذا التزاوج أو الإرتباط، غير موجود مع القوة، فهو يبطل الآخر.

## مقاومة الحق:

إلا أن محاربي التقوى، يدَّعون، بأن الإبن لم يكن موجودًا في وقت ما. والرد عليهم: إن لم يكن الإبن موجودًا، فبالتأكيد لن يكن الآب موجودًا، وإن لم يكن البهاء موجودًا، فإن مصدر البهاء لن يكن موجودًا، وإن لم يكن الختم موجودًا، فلن يكن الجوهر موجودًا، وإن لم تكن القوة موجودة، فلن تكن الحكمة موجودة. وإن لم يكن كل هذا موجودًا، فلن يكن الله موجودًا، وكيف سيكون ضابط الكل، لأن كل هذه الصفات، تؤكد وتُثبت أن الله موجود. لأنه من غير الممكن إدراك المجد بدون بهاء، والجوهر بدون ختم، والحكيم بدون حكمة، والقوي بدون قوة، وأب بدون إبن. إذًا يتضح من خلال كل ما قلناه، أن مَن

يُنكر الإبن، ينكر الآب معه، وعندئذ تَبطُل الألوهية بشكل عام. وإنكار الألوهية، ليس شيئًا آخر، سوى تعليم إبيقور.

إذًا فإن معلمي الخداع والضلال الحاليين، أثبتوا بأنهم تلاميذ إبيقور الذين إزدروا بالإبن وحيد الجنس، وأعطوا الآب إمتيازًا على الإبن، وعلَّموا بأن الآب أكبر، والإبن أصغر. وأن الآب يُرسِل الإبن، هؤلاء الحمقي يأتون ببعض المقاطع من الكتاب المقدس، ويزعمون بأنها تؤكد على هذا التعليم، ويقولون إن الإبن نفسه يعترف بأن الآب قد أرسله. ومن حيث أنه أُرسِلَ. فأنت تعرف ذلك، ولكن ألم تسمع بأن الآب الذي أرسله هو معه؟ يقول: "وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي"[١٣٣]. ألا تعلم إنطلاقًا من هذه الكلمات، أنه أُرسِلَ، لكنه لم ينفصل عن أبيه؟ لأنه أُرسِلَ بسبب محبة الله للبشر، لكنه لم ينفصل عن الآب، لأن طبيعتهما لا تنقسم. قالوا أيضًا أن الإبن

---

[١٣٣] يو٨: ٢٩.

وحيد الجنس قد إعترف بأن الآب أعظم منه: "لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي"[١٣٤].

## أنا في الآب والآب فيّ:

لنفحص إذًا أيها الأخوة لربما يكون ذاك الذي يقول: "أنا في الآب والآب في"، ينطق كذبًا. فإن كان الآب أعظم من الإبن، فكيف يسع الأصغر، الأكبر؟ وإن كان الإبن أصغر من الآب، فكيف يمتلىء الأعظم من الأصغر؟ والعظيم وفقًا لهذه الرؤية يتضايق داخل الأصغر، والأصغر لا يستطيع أن يدرك مدى إتساع الأعظم منه. هكذا يكون الإبن بالضرورة أقل داخل الآب، والآب يزيد ويفيض داخل الإبن. وهل يكذب الذي قال: " أنا في الآب والآب فيّ". وإن كان أصغر، لكان ينبغي أن يقول "أنا في جزء من الآب"، " والآب فيّ". كان ينبغي أن يقول إن الآب أعظم مني، وإن جزء من الآب فيّ. لكن إن كان الآب بالكامل في الإبن، والإبن بالكامل في الآب فأين الأعظم والأصغر؟

---

[١٣٤] يو ١٤:٢٨.

وهل هناك إحتياج لحديث مُطول، طالما أننا نستطيع أن نحصر كل ثرثراتهم في عبارة واحدة؟ هكذا يقول الرسول بولس: " الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ"[١٣٥]. أخبرني هل سمعت كلمة "معادلاً"، وفهمت الغير معادل؟ أي تعليم غريب هذا الذي يشرح ويفسر المتفاوت في المساواة، أو غير المساوٍ، بواسطة المساوي!

ولكن ربما يكون من الطبيعي أن يطلب أحد من المتعلمين تعليمًا متميزًا، شرحًا لهذه الأمور، كيف للآب أن يكون أعظم من الإبن، والإبن معادلاً له؟ ولماذا تبدو هذه الأمور بأنها غير مُتوافقة فيما بينها؟ لنترك صراعي مع خصوم كثيرين، حتى أحدثكم عن هذه الموضوعات، برغبة أبوية. فأنا لا أعتقد أن كل كلمات الإنجيل، المرتبطة بالتعليم عن الأمور المختصة بالرب، متساوية في الإعلان عن هذه الأمور، ولا تعلن عن نفس المعنى. فبعضها تكرز بصوت واضح، بألوهية إبن الله المرتفعة فوق

---

[١٣٥] في٢: ٦.

كل شيء، وبعضها ينزل إلى تواضع الطبيعة الإنسانية. أي عندما يقول الرب: " أَنَا آمُرُكَ"[١٣٦]، وأيضًا: "أُرِيدُ، فَاطْهُرْ! "[١٣٧]، " أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟"[١٣٨]، وأيضًا: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ"[١٣٩]، وأيضًا "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ"[١٤٠]، و "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ"[١٤١]، وأيضًا " وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي"[١٤٢]. وكل الآيات المماثلة التي تُعلن عن القوة التي هي فوق كل الكائنات، والسلطات.

أيضًا عندما يتحول حديثه نحو طبيعتنا الضعيفة الذي إتخذها، يقول: " نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ... إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ"[١٤٣]. وأيضًا " لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا"[١٤٤].

---

[١٣٦] مر٩:٢٥.
[١٣٧] مر١:٤١.
[١٣٨] يو١٤:١٠.
[١٣٩] يو١٤:٩.
[١٤٠] يو١٠:٣٠.
[١٤١] مت١١:٢٧.
[١٤٢] يو١٧:١٠.
[١٤٣] مت٢٦:٣٨-٣٩.
[١٤٤] يو٥:١٩.

وأيضًا " الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ"[١٤٥]. وأيضًا "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ"[١٤٦]. أضف إلى ذلك، بكاءه على قبر لعازر، الإحساس بالتعب بعد مسيرة سفر، الإحتياج للطعام، والعطش إلى الماء، ونومه في مؤخرة السفينة، نجد أن كل هذه الأمور، وأمور أخرى مماثلة لها، لا تُشير إلى مقام ومكانة كلمة الله، التي كانت له منذ البدء، بل إنها تُظهر تنازله إلى طبيعتنا الضعيفة، فهو الذي أخلى ذاته، أخذًا صورة عبد.

إذًا فقد قال: " أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي"[١٤٧]. لنفحص مَن قال هذا الكلام، وكيف أُرسل؟ هل في صورة الله التي له، أم في صورة العبد التي أتخذها؟ هل آتى بمجد الإلوهية الكامل، أم أنه أخلى ذاته آخذًا صورة عبد؟ أعتقد أن الأمر واضح كل الوضوح، فالقوة الإلهية إذ هي حاضرة في كل مكان، وتُحيط بكل

---

[١٤٥] يو١٢: ٤٩.
[١٤٦] يو٢٠: ١٧.
[١٤٧] يو١٤: ٢٨.

شيء، لا تستطيع بالمنطق، أن تقول إن أحدًا قد أرسلها. لأنه لا يوجد شيء، يخلو من هذا الحضور الإلهي، بحيث أنه لم يكن الإبن موجودًا، ثم أتى عندما أُرسل. لكن إذ هو يضبط كل شيء بقوته التي تحفظ الكون من الإنحلال، فإنه هو ذاته ملء كل شيء.

إذًا نزول إبن الله إلى مذلتنا، وضعفنا، والذي صار بمشيئة الآب، فهذا هو الذي يُقال عنه، إرسالية. هذا الإنتقال الذي للطبيعة النقية الطاهرة، ودخولها إلى حياتنا، لا يُعلن عن إنتقال مكاني للرب، بل هو نزول من المجد السامي، إلى الجسد المتواضع. نزل **الكلمة** إذًا وصار جسدًا، ليس في صورة الله كما هي في ذاتها، بل في صورة عبد. هذا هو الذي قال: " لا يقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئًا"، ومن الواضح أن هذا القول، راجع إلى أن الكلمة صار جسدًا. لأن قوله " لا يقدر"، هو دليل على ضعف، أي مثلما يكون الظلام أمام النور، والموت أمام الحياة، هكذا تبدلت القوة إلى

ضعف. لكن المسيح هو: " قوة الله وحكمة الله"، وبالتأكيد القوة ليست ضعفًا. فإن كانت القوة، ضعف، فأين هو القوي.

إذًا عندما ظهر أن **الكلمة** لا يقدر أن يفعل شيئًا من ذاته، فمن الواضح أنه لا ينسب الضعف إلى ألوهية وحيد الجنس، ولكنه ينسب هذا الضعف إلى طبيعتنا. والجسد ضعيف، كما هو مكتوب: " أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ"[١٤٨]. الكتاب المقدس يقول الحقيقة في الحالتين، عندما يعترف بالأعظم، وعندما يُقر بالمساواة. لأنه حين يتوجه الكلمة نحو البعد الإنساني، يُقر بأن غير المرئي أعظم من المرئي داخل الجسد، لكن عندما يقود أذهاننا نحو الألوهية، فإن هذا التعارض في المقارنة بين الأعظم والأصغر، يبطل، ويحمل بدلاً منه الكرازة بالوحدانية فيما بينهما: " أنا في الآب والآب فيّ"، وبالطبع أي تباين أو تغيّر في المساواة، يجعل من غير الممكن أن يكونا، واحدًا. تُرى هل أقنعكم

---

[١٤٨] مت٢٦:٤١.

حديثي، في مواجهة التعليم الهرطوقي الخاص بعدم المساواة بين الآب والإبن؟ أم أنكم ترغبون أن أُؤكّد الكلام، بمزيد من الشهود، كما هو الحال في المحاكم؟ اسمحوا لي أن أعود إلى حديثي سريعًا، مُشيرًا إلى حدث قد وقع في العهد القديم. هذا الحدث ليس بعيدًا عن هدفنا. سمعتم القراءة الرسولية التي تحكي في عجالة قصة إبراهيم: " فَإِنَّهُ لَمَّا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ"[١٤٩].

## تحقيق الوعد الإلهي:

هذه القصة ليست معروفة للكثيرين، وهذا أمر طبيعي، لذلك فإنني سأعرضها لكم بكلمات قليلة على قدر ما استطيع. فقد أخرج الله إبراهيم من أرضه، ومن عشيرته، ومن وطنه، وعاش أبو الآباء في غربة، وإحتمل هذه الغربة على رجاء تحقيق الوعد الذي وعده الله بقسم. وقد وُضِعَ على إبراهيم، كإختبار لإيمانه في وعود الله، إحتمال كل هذا

---

[١٤٩] عب٦:١٣.

الزمن الطويل الممتد، حتى يكتمل رجاؤه. والوعد الذي أخذه، أنه سيصير أبًا لأمة كبيرة. وعبر زمن طويل، ترك آثاره على إبراهيم، خاصةً وأن عمره قد وصل إلى مرحلة الشيخوخة، والرجاء ظل كما هو رجاء. وكما هو طبيعي فقد وهنت قوتهما (هو وزوجته)، وأصبحا غير قادرين على الإنجاب. وهذا ما عبَّر عنه الكتاب المقدس بوضوح، قائلاً: إن مستودع سارة قد توقف عن أن يعمل، إذ قد صار مُماتًا. وهكذا خضع الجسد للقانون الطبيعي، بتراجع سن الشباب، وإنحنى بسبب الشيخوخة، لكن الرجاء في تحقيق الوعد الإلهي، ظلَّ مزدهرًا وحيًا.

وقد تحقَّق الوعد الإلهي بالفعل، وأنجبا إسحق، حتى يظهر أن ولادته، هي نتاج قوة إلهية، وليس عمل الطبيعة الإنسانية. وكما هو طبيعي إمتلئا كليهما بالفرح، بسبب هذه العطية الإلهية. وبدأ المصدر الذي يعطي اللبن لسارة المسنة في الجريان بغنى بسبب الحاجة إليه، وأصبحت قادرة على رضاعة الطفل. فرحت بهذه المعجزة التي تفوق

العمل الطبيعي، وقالت: " مَنْ قَالَ لإِبْرَاهِيمَ: سَارَةُ تُرْضِعُ بَنِينَ؟"[١٥٠]. وبدأ الصبي ينضج رويدًا رويدًا، ووصل إلى عمر الزهور، بجمال مزدهر، ومشهد رائع ومفرح لأبوية، خاصة وأنه كان يزداد بهاءًا، وقوة، وينمو في الفضيلة بصفة دائمة. كيف كان إحساس أبوية من نحوه، فكّروا أنتم في هذا الأمر، وإفحصوه وحدكم، أي كيف يشعر الأب وهو ينظر إلى إبنه عندما كان يلهو، أو وهو يستذكر دروسه، ويتسامر مع رفقائه من نفس السن. ثم حدث أن أبو الآباء قد واجه تجربة، وإختبار لإيمانه، إلا أنه أُلقى بكل همومه على محبة الله، أكثر من الغريزة الأبوية الطبيعية. إني أرتعب حين أروي قسوة هذه التجربة. فقد ناداه الله ودعاه بإسمه. وأطاع إبراهيم، ولبّى هذه الدعوة بنشاط ورغبة صادقة، منتظرًا، بحسب كل ما أخذ حتى الآن، أن تُعطى له النعمة الثانية. لكن ما هو هذا الأمر الإلهي؟

---

[١٥٠] تك ٢١: ٧.

قال له الله: "خذ إبنك وحيدك"[151]. ربما هذا القول لا يتوافق أو يُناسب قلب الأب. بالتأكيد قد فكَّر بأنه يأمره، حتى يقود إبنه للزواج، حتى تكتمل البركة بكثرة النسل. لذى بقية الكلام، يقول " خذ إبنك وحيدك الذي تُحبه". إنتبه إلى حدة الكلمات، كيف تخترق أحشاء الأب، كيف تُلهب الطبيعة الأبوية، كيف تُثير الحب والحنان الأبوي، فهو يدعوه " الإبن الوحيد والمحبوب"، كما لو كان أراد أن يُشعل محبته لإبنه. وماذا سأفعل به، إن أخذته؟ يقول: "أصعده محرقة". هل تُريد أن أجعله كاهنًا؟ بالطبع ليس كاهنًا، بل ذبيحة يقول: " محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك".

بماذا شعرتم يا مَن أنتم آباء، وأنتم تسمعون هذه الرواية، وأنتم تحملون طبيعة حنونة تجاه أبناءكم؟ بالطبع سمعتم، كيف إستقبلت أذان الأب، ذبح إبنه وحيده الذي يُحبه. ومَن لا يشعر بفقدان التوازن، عند سماعه لهذا الطلب، ألا يُغلق أذانه، ألا يفضل

[151] تك٢٢:٢.

عند سماعه لهذا الأمر، أن يموت على أن يتحمل قلبه هذه الكلمات؟ ألا يجعل من طبيعته كأب، مدافعًا عنه، قائلاً أي أمر هو هذا الذي تصدره لي يا إلهي؟ هل جعلتني أبًا، حتى أصير قاتلاً لإبني؟ هل أعطيتني أن أختبر هذه العطية المباركة، حتى يجد الناس ما يتكلمون به عني في المستقبل؟ هل أذبح إبني بيدي، وأريق دمه؟ هل تهبني العطية، وتفرح بمثل هذه الذبائح؟ أقتل إبني، الذي تمنيت أن يُقيم لي قبري؟ هل هذه هي غرفة العرس التي سأعدها له؟ وهل هذه هي فرحة العرس الذي سأقدمها له؟ أهكذا أشعل النار فوق قبره، بدلاً من شموع الفرح؟ وهل هذه هي الأكاليل التي أصنعها له، حين أُقدمه كذبيحة، وأصعده كمحرقة؟ وهل هكذا سأكون أبًا لأمم كثيرة، وأنت لا تسمح لي بأن يكون لي إبنًا واحدًا؟

هل قال إبراهيم شيئًا مثل هذا، أو على الأقل فكَّر في شيء مثل هذا؟ بالتأكيد لم يفكّر قط في هذا. بل لأنه فهم معنى الأمر الإلهي، حوَّل نظرته

نحو محبة الله، وعلى الفور نسي طبيعته. وألقى عن كاهله المشاعر الطبيعية كحمل أرضي، وسلّم نفسه بالكامل لله، وقَبِلَ تنفيذ أمره، بل ولم يقل لزوجته أي شيء من ذلك، وسلك بالصواب، وبما يحقق المنفعة لنفسه، وإعتبر أن مشورة زوجته في هذا الموضوع. أمرًا غير ذي جدوى. لأن آدم لم ينتفع بقبوله لمشورة حواء. إذًا وحتى لا تنهار طبيعة الأمومة التي لسارة، وتهتز بشدة محبة إبراهيم لله، فضَّل ألا تعلم زوجته بهذا الأمر. لأنه لو كانت سارة قد علمت بهذا الأمر، لتصرفت بشكل غير طبيعي، وأقامت مناحة من أجل إبنها. وهل هناك ما لا يمكن أن تفعله، إن رأت إبنها يُجرّ بقسوة إلى الذبح، ما كانت لتتركه لهذا المصير، ولأحتضنته بشدة؟

كانت ستقول فلتحزن يا زوجي، يا جسدي، ينبغي ألا يصير هذا الشر الذي ينزع الحياة. إبني هذا، هو وحيد، إسحق هو وحيدي الذي ولدته، وحيدي الذي إحتضنته، هذا هو إبني الأول والآخير، مَن سنرى على المائدة، إذا رحل عنَّا إبننا؟ مَن

سيُناديني بهذه الكلمة الحلوة، أمي؟ مَن سيُخفف، ويهوّن من شيخوختي؟ وعندما أموت مَن سيُجهزني للدفن؟ مَن سيبني لي قبري؟ أنظر إلى زهرة شبابه، حتى عدوه، سيحزن لضياع هذا الجمال. هذا هو ثمرة صلاتي المستمرة، هذا هو الفرع الذي سيخلفنا، هذا هو الذي سيبقى من نسلنا، هذا هو السند في شيخوختنا. فإن أردت أن تذبحه بالسكين، فقدم لي أنا هذه الخدمة وأذبحني أن البائسة. حوَّل سيفك نحوي أنا أولاً، وبعدها أصنع ما شئت بأبنك. ليكن قبر كلينا واحد، وليُغطي نفس التراب جسدينا. يجب ألا ترى عيني سارة، إبراهيم وهو يقتل إبنه، ولا إسحق قتيل بأيدي أبيه.

هذه الكلمات، وكلمات أخرى مشابهة، كانت ستقولها سارة بكل تأكيد لإبراهيم، إن كانت قد سبقت وشعرت بما سيحدث. ولكي لا يكون هناك عائقًا فيما بدأ في تنفيذه، فبعدما حمَّل الحطب على حماره، وأخذ معه أثنين من غلمانه، سلّم نفسه بالكامل لمشيئة الله. ثم ترك غلمانه، حتى لا يُفكران

في شيء دنيء وسئ، يُعطل هذه المهمة المقدسة، آخذًا معه إبنه فقط، الذي كان في سن يسمح له، أن يسلك بقوة كرجل في أعمال ثقيلة. لأنه نقل حمل الحطب من على الجمار، ووضعه على إسحق. مرة أخرى يؤثّر صوت الإبن في أحشاء الأب بقوة، وهذه تجربة أخرى ليست بأقل قسوة من سابقتها. يُنادي إسحق على أبيه، بتلك الكلمة الحلوة، يا أبي. لم يختنق إبراهيم بالدموع، وهو يفكر أنه بعد وقت قليل، لن يسمع هذا الصوت، لم يتنهد، ولم يصرخ، ولم يحزن وينوح، بل بنفس ثابته لا تهتز، سمع لصوت إبنه، وكلَّمه. لأنه يقول له: " هانذا يا إبني".

إنتبه هنا لحكمة إسحق وتعقّله، كيف أنه يُذكِّر ببساطته أن الأب قد أهمل شيئًا، دون أن يتهمه لا بالغباء، ولا بالنسيان. لأنه يقول له: " هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة؟". لكن الأب إما لأنه أراد أن يُشجع إبنه، وإما لأنه تكلَّم كنبي بما سيحدث، أجاب: " الله يرى له الخروف للمحرقة يا أبني". وبهذا إمتدت تجربة إبراهيم أيضًا. وهكذا

وصل إلى الموضع الذي قال له الله أن يذهب إليه، وهناك بني المذبح، ورتب الحطب، وبدأ في أعداد النار، ولم يمنعه شيء عن تقديم الذبيحة. حتى لا يقول أحد من الجبناء صغار النفوس، إذا كانت التجربة قد توقفت عند هذا الحد، أي الإعداد لتقديم الذبيحة فقط، ما كانت طاعة إبراهيم لله تتجلى على هذا النحو.

بعد ذلك أخذ الآب إبنه، ولم تقاومه الطبيعة الأبوية فيما سيحدث. لكن أياً منهما سأدهش له، وأعجب به أكثر؟ هل هو إبراهيم الذي مدَّ يده ليذبح إبنه، بسبب محبته لله، أم إسحق الذي أطاع أبيه حتى الموت؟ لقد كرَّما بعضهما البعض، واحد إنتصر على طبيعته الإنسانية، والآخر إعتبر أن مقاومته لأبيه أثقل من الموت. وبعد ذلك ربط إبراهيم إسحق إبنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. لقد رأيت مرات عديدة رسم يُمثل صورة الضحية، ولم أستطع أن أعبر على هذا المشهد، دون أن أبكي، لأن الفن يُحضر هذا الحدث أمامنا

بكل وضوح. هكذا ركع إسحق على ركبتيه بجوار المذبح، مُقيد الأيدي من الخلف، ثم يجذبه إبراهيم نحوه بيده اليسرى، ثم يضعه على المذبح ويرفع يده اليمنى ليذبحه، مُتسلحًا بالسكين، وحدّ السكين كان على وشك أن يهوى على الجسد، لكن صوت الله قد منعه عن إتمام هذا العمل.

إن كلمة الكرازة هي هكذا، فمثل طائر غير مُطيع، وصعب، خرج عن طريقه ورحل جانبًا، وأخذ يطير ويدور في دوائر بشكل مستمر، هكذا بصعوبة نُعيد كلمتنا إلى طريقها. لأن هذا هو ما أردنا أن نبرهن عليه، أن الرسول بولس يشهد ويؤكد كلامنا، أن الآب ليس أعظم من الإبن.

إذًا الكتاب هنا يقول: إن ملاك الرب ناداه، أي إستخدم الصوت، لأن ملاك الرب نادى وقال: "بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر.. أباركك مباركة". إذًا مَن كلَّم إبراهيم؟ هل هو الآب؟ لكن لا يُمكنك أن تقول إن الآب، هو ملاك الرب. هل هو الإبن وحيد الجنس، الذي يقول

عنه النبي: "ملاك المشورة العظمى". هذا بالطبع لم يجهله الرسول بولس الذي أستُعلن له أسرار الفردوس الخفية، أن هذا الوعد بقسم، قد أُعطيَ من الإبن وحيد الجنس، يقول بولس الرسول: " إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ"[١٥٢].

## ماهية الطبيعة الإلهية:

إذًا كيف يقول هؤلاء إن الآب أعظم من الإبن، طالما أن الرسول بولس يؤكد على أنه ليس أعظم من الإبن؟ لكن لنأتي إلى الخمر الإنجيلي الجديد، حتى أننا بعدما نستقبل نحن أيضًا حرارة الروح بواسطة التعليم، نصير أوعية مناسبة لهذا الخمر، كي لا ننفصل بعضنا عن بعض، وتهدر النعمة المخفية داخلنا. عندما أسمع المزمور الذي يتنبأ بمصير الخطأة، أتصور أنه يشير إلى المآسي والشدائد الحالية، لأنه يقول عن الخطاة: " زَاغَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحِمِ. ضَلُّوا مِنَ الْبَطْنِ، مُتَكَلِّمِينَ كَذِبًا"[١٥٣]. وكما أعتقد فإن رحم أولئك الذين يَلدون

---

[١٥٢] عب٦:١٣.
[١٥٣] مز٥٨:٣.

بحسب الله، هو الكنيسة. لأن الكنيسة تحبل بأولئك الذين يكتملون، وتقودهم إلى النور، داخل الإيمان. أما الخطأة فهم مثل الأولاد الذين عزلوا وزرعوا على الرحم، وإستُبعدوا من البطن النقية. لا نرى في رحم الأم، الذين عَصوا الإيمان أو الذين خرجوا عن الإيمان، وأقول إن النبوة تتكلم عن الذين إستُبعدوا بسبب الخداع، وأنهم ضلَّوا من وقت أن كانوا في البطن. يقول: " لهم سم كسم الحية"[١٥٤]. ليس فقط حية، حتى لا يُقارنوا بهذه الحية، إضافة إداة التعريف هنا (أي الحية)، فيه تلميح إلى الخطية الأصلية أو الأولى.

لكن الإشارة إلى الحية، هي إشارة ملائمة، حتى يظهر كل مَن يستخدم الفم الوقح ضد الروح القدس، لأنهم يعتقدون أنهم يمتلكون الحجة أو الدليل القوي ضد الروح، أي أن الكتاب المقدس لا يدعو الروح القدس إلهًا (كما يعتقد هؤلاء، لأنني لا اتفق معهم أبدًا في هذا). ويدَّعون أن الألوهية، تعني طبيعة،

---

[١٥٤] مز٥٨: ٥ (س).

وهذا الإسم، ليس لدى الروح القدس، وإنطلاقًا من هذا، يُبرهنون على أن الروح ليس له نفس الطبيعة التي للآب والإبن. ليكن الإتهام لتجديفهم الغبي، هو الحية. لأنه كما نقول نحن، أن الطبيعة الإلهية، ليس لها إسمًا يحمل معنى يخص ماهيتها أو على الأقل بالنسبة لنا (ليس لها إسمًا). لكن إن كان يُنسب لها إسم، فذلك إما من خلال ما إعتاد عليه الناس، وإما من الكتاب المقدس، فهذا شيء قد قيل مرتبطًا بالأمور المتعلقة بالطبيعة الإلهية، أما الطبيعة الإلهية ذاتها فتبقى غير موصوفة، ولا يمكن التعبير عنها، ولا تُشرح، وتتجاوز معنى كل إسم. هي فرصة الآن كما أعتقد، أن أطرح عليكم الكلمات التي وجَّهتها الحية إلى حواء، حتى أُثبت إن إسم الألوهية له معنى يخص قوة أو عمل الرؤية. نصيحتها، هي أن يمدا أيديهما، وأن يأكلها من الشجرة الممنوع الأكل منها، ووعدتهما بشكل قاطع بالربح الذي سيأتي من هذا العصيان: " تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ"[١٥٥].

---

[١٥٥] تك٣: ٥.

## ألوهية الروح القدس:

أرايت إن إسم الألوهية، يؤكد قوة أو عمل الرؤية. لأنه من غير الممكن أن ترى شيئاً. إن لم تفتح الأعين. وبناء على ذلك فإن الألوهية. تعني قوة الرؤية، وليس الطبيعة. ترى ألا يعترفون بأن الروح القدس، يرى؟ أم أنهم جاهزون أن يجادلوا ويعارضوا هذا الأمر؟ إذًا إن كان يرى، فيكون ذلك بالطبع من خلال عمله وقوتة. فإن كانوا الآن، يطلبون أن يفهموا هذا الأمر بالمنطق، فمن غير اللائق ولا مقبول أن نستهلك الوقت في أمور مُعترف بها، ومع ذلك لنُضيف هذا الكلام بسعة صدر وطول أناة، لمن لا يعرف هذه الأمور. مَن أعلن للرسول بطرس أن حنانيا قد إقتطع جزء من ثمن الحقل المباع؟ كيف فهم أن حنانيا سرق نفسه، إذ قد سرق خفية بالإشتراك مع زوجته؟ ألم يكن الروح القدس داخل بطرس، والشيطان داخل حنانيا؟ لذلك قال القديس بطرس: " لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ... أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى

اللهِ"[١٥٦]. وكما يقول البعض، إن مَن يُهين العقل، يهين الإنسان، فإنهم بذلك لا ينسبون الإهانة للأثنين، بل الإشارة هي لشخص واحد، يُعرف بإسماء مختلفة، هكذا قال القديس بطرس إن حنانيا كذب على الروح القدس، وعلى الله، موضحًا لمن يفكرون بالتقوى، بأن الأثنين هما واحد.

لنكن نحن أيضًا مُدركين للحقيقة، وشركاء للطبيعة الإلهية، بحسب عطية الروح القدس، بالنعمة والرأفات ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة إلى الأبد آمين.

[١٥٦] أع٥:٣-٤.

• المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت : ٢٢٤١٤٠٢٣.
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

سعر النسخة :
٢٥,٠٠ جنيه